تحذير القرآن من عبدة الرهبان

تأليف

الشيخ العلامة المحدث

فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري

حفظه الله ورعاه

مكتبة أهل الحديث

تحذير القرآن من عبادة الرهبان

حُقوقُ الطبع مَحفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ ٢٠٢١

مكتبة
أهل الحديث

مملكة البحرين - قلالي

التويتر: ahel_alhadeeth@

البريد: ahel.alhadeeth@gmail.com

تحذير القرآن من عبادة الرهبان

دِرَاسَةٌ أَثَرِيَّةٌ مَنْهَجِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي كَشْفِ الرُّهْبَانِ المُتَنَصِّبَةِ، وأَتْبَاعِهِمُ المُتَحَزِّبَةِ فِي الإِسْلَامِ، وَمَا ابْتَدَعُوا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ فَسَادٍ عَرِيضٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَجْرِ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَيْدِيهِمْ خَيْراً، ولا زَالُوا يُفَرِّقُونَ كَلِمَةَ المُسْلِمِينَ فِي بُلْدَانِهِمْ، ويُشَكِّكُونَ المُؤْمِنِينَ فِي دِينِهِمْ، ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ، وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ المُسْلِمِينَ بالبَاطِلِ، ويَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ الأَمْوَالَ لِنَشْرِ أَفْكَارِهِمُ المَشْبُوهَةِ، وَدَعْمِ أَتْبَاعِهِمْ فِي الخَارِجِ والدَّاخِلِ؛ لِذَلِكَ رَفَضَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ جُمْلَةً مِنَ الإِسْلَامِ.

تأليف

الشيخ العلامة المحدث

فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري

حفظه الله ورعاه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَصَايِدُ، وَمَكَايِدُ
الحِزْبِيَّةِ المُبْتَدِعَةِ للجُهَّالِ مِنَ النَّاسِ
في البُلْدَانِ

عَنِ الإِمَامِ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (أَهْلُ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ آفَةُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّهُمْ يَذْكُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، فَيَتَصَيَّدُونَ بِهَذَا الذِّكْرِ الْحَسَنِ الْجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ[1]، فَيَقْذِفُونَ بِهِمْ فِي الْمَهَالِكِ، فَمَا أَشْبَهَهُمْ بِمَنْ يَسْقِي الصَّبِرَ بِاسْمِ الْعَسَلِ، وَمَنْ يَسْقِي السُّمَّ الْقَاتِلَ بِاسْمِ التِّرْيَاقِ، فَأَبْصِرْهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ أَصْبَحْتَ فِي بَحْرِ الْمَاءِ؛ فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي بَحْرِ الْأَهْوَاءِ الَّذِي هُوَ أَعْمَقُ غَوْرًا، وَأَشَدُّ اضْطِرَابًا، وَأَكْثَرُ صَوَاعِقَ،

---

(١) **كَمَا تَتَصَيَّدُ الرَّافِضَةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «بِاسْمِ أَهْلِ البَيْتِ!»، **وتَتَصَيَّدُ الخَوَارِجُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «باسْمِ تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ والجِهَادِ!»، **وتَتَصَيَّدُ الرَّبِيعِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «بِاسْمِ السُّنَّةِ والسَّلَفِيَّةِ!»، **وتَتَصَيَّدُ الأَشَاعِرَةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «بِاسْمِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ!»، **وتَتَصَيَّدُ التُّرَاثِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «بِاسْمِ التَّوْحِيدِ والسَّلَفِيَّةِ!»، **وتَتَصَيَّدُ الإِخْوَانِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «بِاسْمِ الإِسْلاَمِ والإِصْلاَحِ والأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ!»، **وتَتَصَيَّدُ الصُّوفِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «بِاسْمِ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ!»، **وتَتَصَيَّدُ القُطْبِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ «بِاسْمِ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ!»، **وتَتَصَيَّدُ السُّرُورِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ «بِاسْمِ السُّنَّةِ!»، **وتَتَصَيَّدُ الدَّاعِشِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «باسْمِ الجِهَادِ!»، **وتَتَصَيَّدُ التَّبْلِيغِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «باسْمِ الدَّعْوَةِ!»، **وتَتَصَيَّدُ الثَّوْرِيَّةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «باسْمِ التَّغْيِيرِ!»، **وتَتَصَيَّدُ المُتَنَصِبَةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «باسْمِ العِلْمِ والإِفْتَاءِ بِفِقْهِ المَذَاهِبِ!»، **وتَتَصَيَّدُ المُقَلِّدَةُ**: الجُهَّالَ مِنَ النَّاسِ: «باسْمِ الفِقْهِ!»، وَهَكَذَا.

وَأَبْعَدُ مَذْهَبًا مِنَ الْبَحْرِ وَمَا فِيهِ، فَتِلْكَ مَطِيَّتُكَ الَّتِي تَقْطَعُ بِهَا سَفَرَ الضَّلَالِ: اتِّبَاعُ السُّنَّةِ).[1]

❁ ❁ ❁

(١) نَقَلَهُ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ في «السِّيَرِ» (ج٦ ص٣٤٠)، والمِزِّيُّ في «تَهْذِيبِ الكَمَالِ» (ج٢٨ ص٤٣٠)، والشَّاطِبِيُّ في «المُوَفَقَاتِ» (ج١ ص١٤٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَتْوَى
العَلاَّمَةِ الشَّيْخِ صَالِحِ بنِ فَوْزَانَ الفَوْزَانَ
في
التَّحْذِيرِ مِنَ المَشْبُوهِينَ في الدِّينِ، وإِنْ تَظَاهَرُوا بالأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ

قَالَ الشَّيْخُ العَلاَّمَةُ صالحُ بنُ فَوْزان الفَوْزان حَفِظَهُ اللهُ في «إِعَانَةِ المُسْتَفِيدِ» (ج١ ص٢٤٣): (التَّنبيهُ عَلَىٰ خِدَاعِ الْمُخادِعِينَ، وأَنْ يكُونَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ حَذَرٍ دَائِمًا مِنَ الْمُشْبوهِينَ ومِنْ تَضليلِهِم، وأَنَّهم **قدْ يَتظاهَرونَ بالصَّلاَحِ، ويَتظاهَرونَ بالمشَاريعِ الخَيريَّةِ ـ كَبِنَاءِ المَسَاجِدِ!ـ** ولكنْ مَا دَامَتْ سَوابقهُم، وَمَا دَامَتْ تَصرُّفاتُهم تَشْهَدُ بكَذبِهم؛ فإِنَّهُ لا يُقبلُ منهُم، ولا نَنخدعُ بالْمَظَاهرِ دَونَ النَّظرِ إِلىٰ الْمَقاصدِ، وإِلَىٰ ما يَترتبُ –ولَو عَلَىٰ الْمَدَىٰ البَعِيدِ– عَلَىٰ هذهِ الْمَظَاهرِ ... ففيه تنبيهُ الْمُسْلمينَ إِلَىٰ الحَذَرِ فِي كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ مِنْ تَضْليلِ الْمُشْبوهِينَ، **وأَنَّ كُلَّ مَنْ تَظاهرَ بالخَيْرِ والصَّلاَحِ والمَشَاريع الخيريَّةِ** لا يَكُونُ صَالحًا ... فإِنَّنا نأخذُ الحَذَرَ مِنْهُ ولاَ نَنْخَدِعُ).اهـ

❁ ❁ ❁

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَتْوَى
العَلاَّمَةِ الشَّيْخِ صَالِحِ بنِ فَوْزَانَ الفَوْزَانَ
فِي
جَهْلِ المُتَرَهْبِنَةِ المُتَثَقِّفَةِ فِي الدِّينِ، وَأَنَّهُ لاَ يُتْعَمَدُ عَلَيْهِمْ فِي الفَتَاوَى فِي العِلْمِ، لا فِي الأُصُولِ، ولاَ فِي الفُرُوعِ

قَالَ العلَّامةُ الشَّيْخُ صالح الفَوْزان حَفِظَهُ اللهُ في «وُجُوبِ التَّثْبتِ في الأَخْبَارِ واحْتِرَامِ العُلَمَاءِ» (ص٥٠): (إنَّ وجُودَ الْمُثقفين، والخُطَباءِ الْمُتحَمسِينَ لا يُعَوِّضُ الأُمة عَنْ عُلمائِها... وَهَؤُلاَءِ قُرَّاءٌ ولَيْسُوا فُقهاءَ فإطْلاَقُ لَفْظِ العُلَمَاءِ عَلَىٰ هَؤُلاَءِ إِطْلاَقٌ في غَيْرِ مَحلّهِ، والعِبْرةُ بالحَقَائقِ لا بالأَلْقَابِ فكَثِيرٌ مِمَّنْ يُجيدُ الكَلاَمَ، ويَسْتَمِيلُ العِوامّ وَهُوَ غَيْرُ فقيهٍ، والَّذي يَكْشفُ هَؤُلاَءِ أَنَّه عِنْدَما تَحْصلُ نَازَلةً يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَعْرفةِ الحُكْمِ الشَّرعي فِيهَا فإنَّ الخُطَباءَ، والْمُتحمِسِينَ تَتَقَاصَرُ أَفْهَامُهُمْ، وعِنْدَ ذَلِكَ يَأْتِي دُورُ العُلَمَاءِ.

فَلْنتنَبه لذَلِكَ، ونُعطي عُلَمَاءَنَا حَقَّهُمْ، ونَعْرِفُ قَدْرَهُمْ، وفَضلَهُم، ونَنزلُ كُلاًّ مَنزلتهُ اللَّائقةُ بهِ). اهـ

❁ ❁ ❁

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَتَاوَى
العُلَمَاءِ فِي تَبْيِينِ الحَقِّ، وَعَدَمِ السُّكُوتِ عَنِ البَاطِلِ

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ ابنُ بازٍ رحمه الله **فِي «الفَتَاوَىٰ» (ج٩ ص٣٩٧)**: (فَلا يَجُوزُ لأَهْلِ العِلْمِ السُّكُوتُ، وَتَرْكُ الكَلاَمِ للفَاجِرِ، والْمُبْتَدِعِ، والجَاهِلِ؛ فَإِنَّ هَذَا غَلَطٌ عَظِيمٌ). اهـ

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ رحمه الله: (الخَطَأُ إِذَا وَقَعَ عَلَنـًا وَجَبَ إِنْكَارُهُ عَلَنـًا، وَإِذَا وَقَعَ سِرّاً وَجَبَ إِنْكَارُهُ سِرّاً).[1] اهـ

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانُ حَفِظَهُ اللهُ فِي «شَرْحِ إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ» (بِتَارِيخِ: ٣/ ٢/ ١٤٤١هـ): (الدَّاعِيَةُ الَّذِي لاَ يُحَذِّرُ مِنْ دُعَاةِ الضَّلاَلِ يُعْتَبَرُ مِنَ الكَاتِمِينَ للعِلْمِ). اهـ

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رحمه الله: (البَاطِلُ لاَ يَصِيرُ حَقّـًا بِعَظَمَةِ قَائِلِهِ، وَجَلالَتِهِ).[2] اهـ

❁ ❁ ❁

(١) «سِلْسِلَةُ الهُدَىٰ والنُّورِ، مِنْ «شَرِيطٍ مُسَجَّلٍ»، رَقْم: (٢٤٣).

(٢) «الجَوَاهِرُ المَضِيَّةُ» (ص٢٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران :١٧٩].

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحْمَدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونَسْتغفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيئاتِ أعمالِنَا مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠ و٧١].

أَمَّا بَعْدُ،

فإنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بدْعَةٌ، وكُلَّ بدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّار.

فَهَذِهِ لَمْحَةٌ عَنِ الفِرَقِ الضَّالَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الحَاضِرِ للحَذَرِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ مُحْدَثَاتِهَا، كَمَا حَذَّرَ مِنْهَا القُرْآنُ والسُّنَّةِ والسَّلَفُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

قلتُ: فَمَا جَاءَ التَّفَرُّقُ فِي القُرْآنِ؛ إلاَّ مَذْمُومـًا، ومُتَوعِّداً عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ سَلِّم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَعَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قال: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا

عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلةٍ فِي النَّارِ»).[1]

قلتُ: وهَذَا الاعْتِصَامُ بكِتَابِ الله تَعَالَىٰ، وسُنَّةِ نَبيِّهِ ﷺ، والتَّسْلِيمُ لشَرْعِ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ العُروةُ الوُثْقَىٰ المُنجيَةُ مِنَ الهَلاَكِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَىٰ اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله في «مَدَارِجِ السَّالكِينَ» (ج١ ص٤٦٠): (فَالِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ يُوجِبُ لَهُ الْهِدَايَةَ وَاتِّبَاعَ الدَّلِيلِ، وَالِاعْتِصَامُ بِاللهِ، يُوجِبُ لَهُ الْقُوَّةَ وَالْعُدَّةَ وَالسِّلَاحَ). اهـ

قلتُ: فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيَكُونُ هُنَاكَ اخْتِلاَفٌ وتَفَرُّقٌ، وأَوْصَىٰ عِنْدَ ذَلِكَ بلُزُومِ سُنْتِهِ ﷺ ، ولُزُومِ أُمَّةِ الإِجَابَةِ.

قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «تَثْبِيتِ الإِمَامَةِ» (ص١٩٦): (فَالْجَمَاعَةُ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ بِمُلَازَمَتِهِمْ هُمُ: الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَا الْجَمَاعَةُ الْفَسَقَةُ الْجَهَلَةُ الغَاغَة[2] ...). اهـ

---

(١) حديثٌ صحيحٌ.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ فِي «سُننِهِ» (٤٦٠٧)، والتِّرْمِذِيُّ فِي «سُننِهِ» (٢٦٧٨)، وابنُ مَاجَه فِي «سُننِهِ» (ج١ ص٦٧)، وأَحْمَدُ فِي «المُسْند» (ج٤ ص١٢٦) بإِسْنَادٍ صَحيحٍ.

قلتُ: والتَّأَسِي والاقْتِدَاءُ بالرَّسُولِ ﷺ طَرِيقَةُ الاعْتِصَامِ بالكِتَابِ والسُّنَّة.

(٢) الغاغَة: وَاحِدَة الغَاغ، وَهُوَ الكَثِيرُ المُخْتلط مِنَ النَّاسِ.

انظر: «الرَّائد» لجبران (ص٥٧٣).

قلتُ: وَمَا يَخْرُجُ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتقِيمِ سُبُلٌ لا حَصْرَ لَهَا، وَمَنْ مَالَ إلَيْهَا خَرَجَ عَنْ صِرَاطِ اللهِ بمَقْدَارِ ذَلِكَ المَيْلِ، وَقَدْ صَوَّرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ تَصْوِيرٍ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ؛ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ سُبُلٌ[1] مُتَفَرِّقَةٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.[2]

قلتُ: فَتَعدّدُ السُّبلُ الشَّيْطَانِيَّةِ لاَ عِصْمَةَ مِنْهُ إلاّ التَّمَسّكُ بحَبْلِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذي هُوَ كِتَابُهُ ودِينُهُ، والَّذِي بُعِثَ بِهِ نَبيّهُ المَعْصُوم مُحَمّد ﷺ فَقَامَ بهِ بَيَانـًا، وتَفْصِيلاً بسُنَّتِهِ وهَدْيه؛ فَلَمْ يَقْبضْهُ ربُّهُ إليْهِ؛ إلاّ وَقَدْ أَبَانَ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، وتَرَكَ أُمّتَهُ عَلَىٰ البَيْضَاءِ النَّقيّةِ لا يَزِيغُ عَنْهَا إلاّ هَالِكٌ.

قالَ العلَّامةُ الشَّاطِبِيُّ رحمه الله في «الاعْتِصَامِ» (ج١ ص٨٠): (فَهَذَا التَّفْسِيرُ يَدُلُّ عَلَىٰ شُمُولِ الْآيَةِ لِجَمِيعِ طُرُقِ الْبِدَعِ، لَا تَخْتَصُّ بِبِدْعَةٍ دُونَ أُخْرَىٰ). اهـ

---

(١) يَعْنِي: الأَهْواءَ والآرَاءَ المُخْتلفَةِ في الضَّلاَلَات، مِثْلَ: الجَمَاعَاتِ الحِزبيَّة المَوْجُودَةِ في السَّاحَةِ الإسْلاَمِيَّةِ في هَذَا الزَّمَانِ.

(٢) **حديثٌ حسنٌ.**

أَخْرَجَهُ أحمدُ في «الْمُسْنَدِ» (ج١ ص٤٣٥)، والدَّارِمِيُّ في «الْمُسْنَدِ» (ج١ ص٦٧)، والطَّيَالِسِيُّ في «الْمُسْنَدِ» (ص٣٣)، والنَّسَائِيُّ في «السُّنن الكُبرىٰ» (ج٦ ص٣٤٣)، وابنُ أَبِي زَمَنِين في «السُّنة» (ص٣٦)، وسَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٥ ص١١٢)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٥ ص١٤٢٢).

وسندُهُ حسنٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةٍ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةٌ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي).[1]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ).[2]

قلتُ: وهَذَا نَصٌّ يَدُلُّ بمَنْطُوقهِ عَلَىٰ عِظَمِ وِزْرِ كلّ مِنْ سَنَّ مَا لاَ يَرْضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، أَوْ أَدْخَلَ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ مَا لَيْسَ مِنْهُ بأَيِّ وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، ولذَلِكَ فَإِنَّ ابنَ آدَمَ الأَوّلَ يَحْمِلُ وِزْرَ كُلِّ جَرِيمَةِ قَتْلٍ تَقَعُ بَيْنَ بَنِي آدمَ؛ لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ جَرِيمَةَ القَتْلِ، واللهُ المُسْتَعَانُ.

وَعَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ).[3]

---

(١) حديثٌ حسنٌ.

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ في «سُننِهِ» (ج٥ ص٢٦)، والحَاكِمُ في «الْمُسْتَدْرَكِ» (ج١ ص١٢٨)، وابنُ وَضَّاحٍ في «البِدَعِ» (ص٩٢)، واللالَكَائِيُّ في «الاعْتِقَادِ» (ج١ ص١٠٠)، والآجُرِّيُّ في «الشَّرِيعَةِ» (ص١٥ و١٦)، والعُقَيْلِيُّ في «الضُّعَفَاءِ» (ج٢ ص٢٦٢)، ومُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ في «السُّنَّةِ» (ص٢٣)، وابنُ الجَوْزِيِّ في «تَلْبِيسِ إِبْلِيس» (ص١٥)، وفي «الحَدَائِقِ» (ج١ ص٥٤١ و٤٥٢)، وابنُ بَطَّةَ في «الإِبَانَةِ الكُبْرَىٰ» (ج١ ص٣٦٩)، والدَّيْلَمِيُّ في «الفِرْدَوْسِ» (ج٣ ص٤٣٩)، والأَصْبَهَانِيُّ في «الحُجَّةِ» (ج١ ص١٠٧)، والفَسَوِيُّ في «المَعْرِفَةِ والتَّارِيخِ» (ج٣ ص٤٨٩)، والبَغَوِيُّ في «مَصَابِيحِ السُّنَّةِ» (ج١ ص١٦١).

بأسانيدَ حسنةٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ البُخاريُّ في «صَحِيحِهِ» (ج٦ ص٣٦٤)، ومُسلمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص١٣٠٣).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص٧٠٤).

قلتُ: وهَذِهِ النُّصُوصُ تَدُلُّ بمَنْطُوقِهَا عَلَىٰ عِظَمِ وزْرِ كُلِّ مَنْ سَنَّ مَا لاَ يَرْضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، أَوْ أَدْخَلَ فِي دِينِ اللهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ بأَيِّ وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ... وكُلّ مُبْتَدِعٍ، أَوْ جَاهِلٍ، أَو مُميّعٍ، أَوْ حَزْبِيٍّ قَدْ سَنَّ مَلاَ يَرْضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ورَسُولُهُ ﷺ، واتَّبعهُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَتحَمَّلُ وِزْر ذَلِكَ كُلَّه فِي يَوْمٍ يَتبَرَأ المَتْبُوعُ مِنَ التَّابِعِ، ويَدْعُو عَلَيْهِ بالوَيْلِ والثُّبور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ «١٦٦» وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٥].

وَعَنِ الإِمَامِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ رحمه الله قَالَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة:٦٤]، (هُمْ أَصْحَابُ الأَهْوَاءِ)، وَفِي رِوَايَةٍ: (الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ).

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلاَمِ» (٨٢٠)، وَأَبُو الْقَاسِمِ الأصبهانيُّ فِي «الْحُجَّةِ» تَعْلِيقًا (ج٢ ص٨٤٥)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعَلْمِ» (١٧٧٢)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلِيَةِ» (ج٤ ص٢٢٢)، وَسَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ فِي «السّنن» (٧٢٢)، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص١٠٢)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الإِبانةِ الْكُبْرَىٰ» (٥٥٨)، وَفِي «الإِبانةِ

الصُّغْرَىٰ» (ص١٤١)، وَأَبُو الْفَتْحِ الْمَقْدِسِيّ فِي «الْحُجَّةِ» (ج١ ص٢٦٧) مِنْ طَرِيقِينِ عَنْ الْعَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الأَهْوَاءُ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ.

أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفَ» (ج١١ ص٣٦٧)، وَابْنُ الجَوْزِيّ فِي «تَلْبيسِ إبليسَ» (ص١٧)، وَابْنُ وَضَّاحٍ فِي «الْبِدَعِ» (ص٧٥)، والمَرْوَزِيّ فِي «السُّنة» (ص٨)، والآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (ص١٣)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الإبانةِ الْكُبْرَىٰ» (١٣٦)، واللَّالَكَائِيُّ فِي «الْاِعْتِقادِ» (ج١ ص٥٦)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلِيَةِ» (ج٢ ص٢١٨)، وَابْنُ عَسَاكِرِ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقِ» (ج١٨ ص١٧١)، والهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ» (ج٥ ص١٨) مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةَ فَذكرَهُ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ عِمْرَانَ الْقَصِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالْمُنَازَعَةُ وَالْخُصُومَةُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ.

أَخْرَجَهُ اِبْنُ بَطَّةَ فِي «الإبانةِ الْكُبْرَىٰ» (٦٣٧)، والآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (١١٩)، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ مَسْعَدَةَ عَنْ عِمْرَانَ الْقَصِيرِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قلتُ: فالدِّينُ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لاَ يَقْبَلُ الانْقِسَامَ إِلَىٰ جَمَاعَاتٍ حِزْبِيَّةٍ، وإِلَىٰ مَذَاهِب مُخْتَلِفَةٍ عَصَبِيَّةٍ[1]، فدَيَانَاتُ الجَمَاعَاتِ الحِزْبِيَّةِ المَوجُودةُ الآنَ لا يُقْبَلُ اللهُ هَذِهِ الدِّيَانَات مِنْهُمْ فانْتبه.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

إذاً: فإِنَّ مُجرَّدَ الانْتِسَابِ إلىٰ الإِسْلاَمِ دُون العَمَلِ بِهِ، فَهَذا لاَ يَكْفِي فِيهِ، بَلْ مَنْ أَدْخَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنَ الْمُخَالفاتِ الشَّرعيّة الكَثِيرة، أَوِ القَلِيلَة، فإنهُ ابْتغَىٰ غَيْرَ الإِسْلامِ دينـًا، فلنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ذَلِكَ، سَواء كانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنَ الْمُبْتدِعِينَ، فانْتبه.[2]

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) والنَّبِيُّ ﷺ تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَىٰ البَيْضَاءِ، لَيْلُها كنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

(٢) **قلتُ**: كذَلِكَ الَّذين يَعْملُونَ ببَعْضِ الإِسْلاَمِ، ويتركُونَ بَعْضَهُ، أَوْ يَعْمَلُونَ ببعْضِ الأَحْكامِ، ويتركُون بعضَها، أو يَعملونَ ببعضِ السُّنة، ويتركُونَ بعضَها فهذا أيضـًا لا يَكْفي في الإِسْلاَمِ، ولنْ يُقْبَلَ منهُمْ ذَلِكَ، واللهُ الْمُستعان.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ أي: خُذُوا جميعَ أحكامِ الإِسلامِ، واعْمَلُوا بِهَا، فَهَذَا هُوَ الإِسْلامُ الصَّحيح الَّذي يجبُ الانتسابُ إليهِ.

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣].

قلتُ: والإسْلامُ؛ الانْقِيادُ والخُضُوعُ، والاسْتِسْلامُ بالتَّوْحيدِ والطَّاعةِ للهِ تَعَالَىٰ، ولرَسُولهِ ﷺ، فَمَنِ اتَّبعهُ كَانَ مَرْضِيـًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، ومَنْ خَالفهُ كانَ باغِيـًا لغَيْرِ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ.(١)

قَالَ المَرَاغِيُّ المُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللهُ في «تَفْسيرِهِ» (ج٢ ص٢٠٤): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾؛ لأنَّ الدِّين إِذَا لَمْ يَصلْ بصَاحبهِ إلىٰ هَذَا الخُضوعِ والانْقيادِ للهِ تَعَالَىٰ كَانَ رسُومـًا، وتَقَاليد لا تُجدْي شَيْئـًا، بَلْ تَزيد النُّفوسُ فَساداً، والقُلوب ظَلَامـًا، ويكونُ حِينَئذٍ مَصْدر الشَّحناءِ، والعَدَاوةِ بَيْنَ النَّاسِ في الدُّنيا، ومُصدر الخُسرانِ في الآخَرةِ بالحُرْمَانِ مِنَ النَّعيم الْمُقيم، والعَذَابِ الأليمِ، وقولهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾؛ لأنهُ أَضَاعَ مَا جُبلتْ عَلَيْهِ الفِطْرُ

(١) وانظر: «تَفْسير القُرآن» للمَرَاغيِّ (ج٣ ص٢٠٤)، و«تَفْسير القُرآن» لابنِ كَثِيرٍ (ج١ ص٣٧٢)، و«زَاد الْمَسير» لابنِ الجَوْزِيِّ (ج١ ص٤١٦)، و«البحرَ الْمُحيط» لأبِي حَيَّان (ج٢ ص٨٢٠)، و«ثَلاثة الأُصول» للشَّيخ محمد بنِ عبد الوهاب (ص٦٦)، و«شَرْح ثلاثة الأُصول» للشَّيخ الجاميِّ (ص٢٣).

السَّليمة مِنْ تَوْحيدِ اللهِ تَعَالَىٰ، والانْقيادِ له، كَمَا جاءَ في الحَدِيثِ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(١)، وخَسَرَ نَفْسَهُ إِذْ لم يُزكها بالإِسْلاَمِ للهِ، وإخلاَصِ السَّريرةِ له؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾). اهـ

وقالَ الحافظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تَفْسيرِهِ» (ج١ ص٣٧٣): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾؛ أَيْ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا سِوَىٰ مَا شَرَعَه اللهُ تعالىٰ، فَلَنْ يُقْبل مِنْهُ(٢): ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»)(٣). اهـ

---

(١) أَخْرجهُ البُخَارِيُّ في «صحيحِهِ» (١٣١٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) لقَدْ أَدْخَلت «**الفِرْقةُ الرّبيعية**» الإرجاءَ الخَبيث في دينِ اللهِ تَعَالَىٰ، وادَّعَتْ أَنهُ مِنَ الإِسْلاَمِ، وهو ليسَ مِنَ الإِسْلامِ، بل هُوَ دينُ «**الْمُرجئةِ الخامسة**»، لأنها ابْتغتْ غيرَ الإِسْلاَمِ دينًا فلَنْ يُقْبَلَ منها هَذَا الدِّين، إذاً فهيَ في الآخرةِ خَاسرة.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٨].

(٣) أَخْرجهُ البُخَارِيُّ في «صحيحِهِ» (ج٤ ص٣٥٥)، ومُسْلِمٌ في «صَحيحِهِ» (ج٣ ص١٣٤٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (أَنَا وَمَنْ مَعِي) قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الَّذِينَ عَلَىٰ الْأَثَرِ) قِيلَ لَهُ: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: (فَرَفَضَهُمْ).[1]

حديثٌ حسنٌ

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ في «المُسْنَد» (ج٣ ص١٥٥) مِنْ طَرِيقِ صَفْوَان، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بنُ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ به.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ في «المُسْنَد» (ج٣ ص٢٤٣)، والآجُرِّيُّ في «الشَّرِيعَةِ» (١١٤٧) مِنْ طَرِيقِ لَيْث -يَعْنِي: ابنَ سَعْدٍ-، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَجْلَانَ، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: (أَنَا، وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَىٰ الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَىٰ الْأَثَرِ)، ثُمَّ كَأَنَّهُ رَفَضَ مَنْ بَقِيَ.**

وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ في «الحِلْية» (ج٢ ص٧٨)، وفي «الإمَامَة» (ص٢٤١)، والخَلاَّلُ في «السُّنَّةِ» (ص٤٣٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَجْلانَ به.

وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وأَخْرَجَهُ الكلاَبَاذِي في «مَعَانِي الأَخْبَارِ» (ص٣٧٢) مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ ابنِ عَجْلاَنَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

---

(١) قولهُ: (فَرَفَضَهُمْ)، قَالَ السِّنْدِيُّ ﷺ: أي: تَرَكَهُمْ وَلَمْ يَذْكرْ لهُم فَضْلاً.

وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

قَالَ الكَلاَبَاذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَعَانِي الأَخْبَار» (ص٣٧٢): (وَرَدَ الْخَبَرُ بِقَوْلِهِ: مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: (أَنَا وَمَنْ مَعِي) فَوَجَبَ الْحُكْمُ بِهِ ... فَيَسْتَوِي آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَوَّلِهَا فِي الْخَيْرِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَرْنَ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِنَّمَا كَانُوا أَخْيَارًا؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، حِينَ كَفَرَ بِهِ النَّاسُ، وَصَدَّقُوهُ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ، وَنَصَرُوهُ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ، وَهَاجَرُوا وَآوَوْا وَنَصَرُوا، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وُجِدَتْ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ[1]...). اهـ

وسُئِلَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلْ المِلَلُ والنِّحَلُ والطُّرُقُ المَوْجُودَة الآن هِيَ الَّتِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)، والقَوْلُ الآخَر: (سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةٌ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً)؟ أَفِيدُونَا بالصَّوَابِ جَزَاكُمُ اللهُ خَيْراً؟.

فَأَجَابَ فَضِيلَتُهُ: (كُلُّ طَرِيقَةٍ، وكُلُّ نِحْلَةٍ يُحْدِثُهَا النَّاسُ تُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ، فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: (**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**) ودَاخِلَةٌ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةٌ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً؛ قِيلَ: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الجَمَاعَةُ**»).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: (**مَا أَنَا عَلَيْهِ وأَصْحَابِي**)؛ فَكُلُّ طَرِيقَةٍ، أَوْ عَمَلٍ، أَوْ عِبَادَةٍ يَحْدُثُهَا النَّاسُ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ، ويَرَوْنَهَا عِبَادَةً، ويَبْتَغُونَ بِهَا الثَّواب، وَهِيَ تُخَالِفُ

(١) أُمَّةَ الإِجَابَةِ فِي آخِرِ الزَّمَان، وَهُمْ: أَهْلُ الأَثَرِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي آخِرِ الزَّمانِ.

شَرْعَ اللهِ؛ فَإِنَّهَا تَكُونُ بِدْعَةٍ، وتَكُونُ دَاخِلَةٌ فِي هَذَا الذَّمِّ والعَيْبِ الَّذِي بَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فالوَاجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَنْ يَزِنُوا أَقْوَالَهُمْ وأَعْمَالَهُمْ وعِبَاداتَهُم بِمَا قَالهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ورَسُولهُ ﷺ، ومَا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَمَا ثَبَتَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، بِمَا وَافَقَ الشَّرْع وَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ، وَمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولهِ ﷺ ويُعْرِضُوهَا عَلَيْهَا؛ فَهَذَا هُوَ الحَقُّ المَقْبُول، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ، أَوْ خَالفَ السُّنَّةَ مِنْ عِبَاداتِهِمْ وطُرُقِهِمْ فَهُوَ المَرْدُودُ، وَهُوَ الدَّاخِلُ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: (**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[1]. اهـ

قلتُ: وَهَكَذا دُعَاةُ الضَّلاَلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، لابَّد أَنْ يَحْدِثُوا الضَّلاَلاَتِ للنَّاسِ، ويَنْحَازُ إِلَيْهِمْ العَامَّةُ الجَهَلَةُ، وَهَذِهِ حِكْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي هَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

* وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ الوَصْفَ الدَّقِيقَ للرُّهْبَانِ المُتَحَزِّبَةِ، وَمِنْ رُهْبَانِيَّتِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ للحَذَرِ مِنْهَا، واجْتِنَابِهَا وعَدَمِ الدُّخُولِ فِيهَا.

فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنه **قَالَ**: «**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي؛ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟؛ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ**

(١) انظر: «فَتَاوَىٰ نُور عَلَىٰ الدَّربِ» لهُ (ص١٨ و١٩).

الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، ويَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ. قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ[1] إِلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟، فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟، قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ؟، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ».

أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج٦ ص٦١٥)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج١٢ ص٢٣٥-النَّوَوِيّ)، وابنُ مَاجَه في «سُننِهِ» (ج٢ ص١٣١٧)، والحَاكِمُ في «الْمُسْتدْرَكِ» (ج٤ ص٤٣٢)، والبَغَوِيُّ في «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج٥ ص١٤)، وأَبُو دَاودَ في «سُننِهِ» (ج٤ ص٤٤٤)، وأَحْمَدُ في «الْمُسْند» (ج٥ ص٤٠٣)، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ في «الْمُصَنَّف» (ج١١ ص٣٤٢)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في «الْمُصنَّف» (ج١٥ ص٩ و١٧)، والبَيْهَقِيُّ في «السُّنن الكُبرىٰ» (ج٨ ص١٩٠)، وفي «دَلائلِ النُّبُوَّةِ» (ج٦ ص٤٩٠)،

---

(١) هُمْ في هَذَا الزَّمَانِ: «الإِخْوانِيَّةُ»، و«التُّراثِيَّةُ»، و«السُّروريَّةُ»، و«القُطبيَّةُ»، و«الصُّوفيَّةُ»، و«الأَشْعريَّةُ»، و«اللاَّدِنيَّةُ»، و«الدَّاعِشيَّةُ»، و«التَبْليغيَّةُ»، و«الرَّبيعيَّةُ»، و«الإِباضيَّةُ»، وغَيْرُهم من **دعاةِ الباطل** في هذا العَصْرِ، نعوذُ باللهِ مِن الخِذْلاَنِ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وأَبُو نُعَيْمٍ في «الحِلْيَةِ» (ج١ ص٢٧٢)، وابنُ وَضَّاحٍ في «البِدَعِ» (ص٧٧) مِنْ طُرُقٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رضي الله عنه بِهِ.

وفي رِوَايةٍ لأَبِي دَاوُدَ في «سُننِهِ» (ج٤ ص٤٤٤): «**تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَىٰ دَخَنٍ، ثُمَّ تَكُونُ دُعَاةُ الضَّلَالَةُ**».

وأَخْرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ في «صَحِيحِهِ» (ج١٣ ص٢٩٩)؛ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ؛ بلَفْظٍ: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ عَلَيْهَا دُعَاةٌ[1] عَلَىٰ أَبْوَابِ النَّارِ، فَإِنْ مُتَّ يَا حُذَيْفَةُ، وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَىٰ جَذْرِ خَشَبَةٍ يَابِسَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتْبَعَ أَحَدًا مِنْهُم**».

وفي رِوَايةٍ لابنِ حِبَّانَ في «صَحِيحِهِ» (٥٩٦٣)؛ بإسنادٍ صحيحٍ: «**هُدْنَةٌ عَلَىٰ دَخَنٍ لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَىٰ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ...يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُكَرِرُهَا**».

قالَ الحَافِظُ البَغَوِيُّ رحمه الله **في «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج١٥ ص١٥)**: (قَوْلُهُ ﷺ: «**وَفِيهِ دَخَنٌ**»؛ أَيْ: لَا يَكُونُ الْخَيْرُ مَحْضًا، بَلْ فِيهِ كَدَرٌ، وَظُلْمَةٌ، وَأَصْلُ الدَّخَنِ أَنْ يَكُونَ فِي لَوْنِ الدَّابَّةِ كُدُورَةٌ إِلَىٰ السَّوادِ). اهـ

وقالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله **في «فَتْحِ البَارِي» (ج١٣ ص٣٦)**: («**الدَّخَنُ**»: هُوَ الْحِقْدُ، وَقِيلَ: الدَّغَلُ وَقِيلَ: فَسَادُ الْقَلْبِ، وَمَعْنَىٰ الثَّلَاثَةِ مُتَقَارِبٌ. يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ الشَّرِّ لَا يَكُونُ خَيْرًا خَالِصًا بَلْ فِيهِ كَدَرٌ). اهـ

---

(١) كـ«أَهْلِ الرَّأْيِ والعَقْلِ».

وقالَ الإمامُ أَبُو عُبَيْد رحمه الله في «غَرِيبِ الحَدِيثِ» (ج٢ ص٢٦٢)؛ في تَفْسِيرِهِ للحَدِيثِ: (لَا تَرْجِعُ قُلوبُ قَوْمٍ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، والهُدْنَةُ: السُّكُون بعدَ الهَيْجِ، وأصلُ الدّخنِ أَن يكونَ فِي لَوْنِ الدَّابَّةِ، أَوِ الثَّوْبِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ كدُورة إِلَىٰ سَوادٍ فوجهه أَنَّه يَقُولُ: تكونُ الْقُلُوبُ هَكَذَا لَا يَصْفُو بَعْضُهَا لبَعْضٍ، وَلَا يَنْصَعُ حُبُّها؛ كَمَا كَانَتْ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهم فِتْنةٌ). اهـ

قلتُ: وهَذَا بَيَانٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بأنَّ الدُّعاةَ إلىٰ الفِتَنِ عنْدِ وُقُوعِهَا؛ إنَّما هُمْ الدُّعاةُ إلىٰ النَّارِ، نَعُوذُ باللهِ مِنْهَا.(١)

قلتُ: فالشَّرُّ الفِتْنةُ، ووَهَنُ عُرىٰ الإسلامِ في النَّاسِ، واسْتيلاءِ الضَّلالِ فيهم، وفُشوِّ البدعةِ بَينهم.(٢)

قالَ العلاَّمةُ عَلِيٌّ القَارِي رحمه الله في «مِرْقَاةِ الْمَفاتيحِ» (ج٩ ص٢٥٧): (قَولُه ﷺ: «**نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**»؛ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ: كُدُورَةٌ إِلَىٰ سَوَادٍ، وَالْمُرَادُ أَنْ لَا يَكُونَ خَيْرًا صَفْوًا بَحْتًا، بَلْ يَكُونُ مَشُوبًا بِكُدُورَةٍ، وَظُلْمَة). اهـ

وقالَ الفَقِيهُ الطِّيبِيُّ رحمه الله في «الكَاشِفِ» (ج١٠ ص٥٢): (قولهُ ﷺ: «**نَعَم، وَفِيهِ دَخَنٌ**»؛ أَيْ: يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّر خَيْرٌ، والحَالِ أنَّ في ذَلِكَ الخَيْرِ شَرّاً، والْمَعْنَىٰ: أنَّ

---

(١) وانظر: «الإحْسَانَ إلىٰ تَقْريبِ صَحيحِ ابنِ حِبَّانَ» لابنِ بَلْبَان (ج١٣ ص٢٩٢)، و«مَعَالم السُّنَن» للخَطَّابِيِّ (ج٤ ص٣٧٧)، و«الْمِنْهَاج» للنَّوَوِيِّ (ج١٢ ص٢٣٧).

(٢) وانظر: «الكاشفَ عَنْ حَقائِقِ السُّنَن» للطِّيبِيِّ (ج١٠ ص٥١)، و«مِرْقَاة الْمَفَاتِيح شَرْحِ مِشْكَاة الْمَصَابِيحِ» للقَارِي (ج٩ ص٢٥٧).

ذَلِكَ لاَ يَصْفُو بلْ يَشُوبهُ كُدُورةٌ، ومِنْهُ قَوْلُهم: هُدْنةٌ علىٰ دَخَنٍ؛ أَيْ: سُكُونٌ لِعِلَّةٍ لا للصُّلحِ، وأَصْلُ: الدَّخَنُ أَنْ يكونَ في لَوْنِ الدَّابةِ كُدُورةٌ إلىٰ السَّوَادِ). اهـ

قلتُ: فتَعْرِفُ مِنْهُمْ، وتُنْكِرُ؛ أَيْ: تَرَىٰ فِيهِمْ مَا تَعْرِفُهُ أَنَّه مِنَ الدِّينِ، ومِنَ الخَيْرِ، وهُو ليسَ مِنَ الدِّينِ، ولا مِنَ الخَيْرِ، لأَنَّهُم يَستنُّونَ بغَيْرِ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فتعرِفُ فِيهِمْ الخَيْرَ فتقْبَل، وتَرَىٰ فِيهِمْ الشَّرَّ فتُنْكِرُ، فتَعرفُ وتُنْكِرُ، واللهُ الْمُسْتَعانُ.

قالَ الفَقِيهُ الطِّيبِيُّ رحمه الله في «الكَاشِفِ» (ج١٠ ص٥٣): (قَوْلهُ ﷺ: «**دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ**» أَيْ: جَمَاعةٌ يَدْعُونَ النَّاسَ إلىٰ الضَّلالَةِ، ويُصِدُّونَهُم عَنِ الهُدَىٰ؛ بأَنْوَاعٍ مِنَ التَّلبِيسِ لإدْخَالِهِم إيَّاهُمْ في جَهَنَّمَ، دُخُولهُمْ فِيهَا.

وجَعَلَ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنواعِ التَّلبيسِ بمَنْزِلةِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. «**مِنْ جِلْدتِنَا**» أَيْ: مِن أَنْفسِنَا وعَشِيرتِنَا. قِيلَ: مَعْنَاهُ مِنْ أهلِ مِلَّتنَا. ويَتكَلَّمُونَ بِمَا قَالَ اللهُ تَعالىٰ، وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَيْ: بالْمَواعِظِ، والحِكَمِ، ومَا في قُلُوبِهِم شَيْءٌ مِنَ الخَيْرِ يَقُولُونَ بأَفواهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم!). اهـ

قالَ العَلاَّمَةُ عَلِيٌّ القَارِي رحمه الله في «مِرْقَاةِ الْمَفاتيحِ» (ج٩ ص٢٥٩): (قَوْلُهُ ﷺ: «**وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي**»؛ أَيْ: مِنْ حَيْثُ الْعَمَلِ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ لَا يَأْخُذُونَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. و قَوْلُهُ ﷺ: «**وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ**»؛ أَيْ: كَقُلُوبِهِمْ فِي الظُّلْمَةِ، وَالْقَسَاوَةِ، وَالْوَسْوَسَةِ، وَالتَّلْبِيسِ، وَالْآرَاءِ الْكَاسِدَةِ، وَالْأَهْوَاءِ الْفَاسِدَةِ. «**فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**» بِضَمِّ الْجِيمِ؛ أَيْ: فِي جَسَدِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ جِنْسُ الْإِنْسِ؛ فَيُطَابِقُ الْجَمْعَ السَّابِق). اهـ

وقالَ العلاَّمةُ عَلِيٌّ القَارِي رَحِمَهُ اللهُ في «مِرْقَاةِ الْمَفاتيحِ» (ج٩ ص٢٧٣): (وَأَصْلُ الدَّخَنِ هُوَ الْكُدُورَةُ، وَاللَّوْنُ الَّذِي يَضْرِبُ إِلَىٰ السَّوَادِ فَيَكُونُ فِيهِ إِشْعَارٌ إِلَىٰ أَنَّهُ صَلَاحٌ مَشُوبٌ بِالْفَسَادِ). اهـ

تَتَمَخَّضُ هَذِهِ الشُّرُوحَاتِ عَنْ أُمُورٍ:

١) أنَّ هذهِ مَرْحَلةٌ ليسَتْ خَيْراً خَالِصاً، وإنَّما مَشُوبةٌ بكَدَرٍ يُعَكِّرُ صَفْوَ الخَيْرِ، ويجعلَ مَذاقَهُ مِلْحاً أُجاجاً!.

٢) أنَّ هَذَا الكَدَرَ يُفْسِدُ القُلوبَ، ويَجْعَلها ضَعِيفةً؛ حيثُ يدبُّ إليها داءُ الأُمَم؛ وتَتخطَّفُها الشُّبهاتُ!.

٣) أنَّ الفِتْنةَ التَّي تَقَعُ عَمْياءُ صَمَّاءُ[1]؛ والمُرَادُ بكَونِهَا عَمْيَاءَ صَمَّاءَ أنْ تَكُونَ بحَيثُ لا يُرَىٰ مِنْهَا الْمُخْرج، ويقعُ النَّاسُ علَىٰ غُرَّةٍ مِنْ غَيْرِ بَصيرةٍ، فَيَعْمُونَ فِيهَا، ويَصُمُّونَ عَنْ تَأمُّلِ الحَقِّ، واسْتِماعِ النُّصْحِ!.

٤) أنَّ اجْتماعَ النَّاسِ مِنَ الحزبيَّةِ علىٰ الفِتْنَةِ يَكُونُ بسَببِ فَسَادِ مَا فِي قُلوبِهِم، وَهِيَ مَشُوبةٌ بشيءٍ مِنَ البِدَعِ، وارْتِكَابِ الْمَنَاهِي، بَلْ يَفعَلونَ هُدْنةً فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ خِدَاعٍ، وخَيانةٍ، ونِفَاقٍ!: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر:١٤]. فَلَوْ كَانُوا يَعقِلُونَ لعَملُوا عَلَىٰ اجْتِثاثِ الخِلاَفِ مِنْ أُصُولِهِ، فَتوحَّدُوا عَلَىٰ الكِتابِ والسُّنَّةِ والآثَارِ، ولَمْ يَصرُّوا علىٰ الاخْتِلاَفِ، والتَّفرُّقِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

---

(١) **قلتُ**: والمُرَادُ مِنْهُ صَمَمُهُ عَنِ اسْتِماعِ الحَقِّ، وعَمَاهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ الدَّلائلِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٥) أَنَّ الهُدنةَ[1] تَكُونُ عَلَىٰ دَخَنٍ فِيها لِمَا بَيْنَ دُعاةِ الضَّلاَلَةِ مِنَ الفَسَادِ الباطِنِ تَحْتَ الصَّلاَح الظَّاهِرِ!، فَهِيَ فِتْنةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ؛ عَلَيْهَا دُعاةٌ عَلَىٰ أَبْوابِ جَهَنَّمَ، والعياذُ باللهِ.

٦) أَنَّ أَصْلَ الدَّخَنِ هُوَ: الكُدُورَةُ، واللَّوْنُ الَّذِي يَضْرِبُ إلىٰ السَّوَادِ، فيَكُونُ فيهِ إشْعارٌ إلىٰ أنَّه صَلاَحٌ مَنسُوبٌ بالفسادِ ذَلِكَ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَ الجَمَاعَاتِ الحِزْبيَّةِ، والفِرَقِ الضَّالةِ[2]!، مِنَ «القَدِيمَةِ»، و«الجَدِيدَةِ».

٧) أَنَّ ظُهُورَ دُعَاةُ الضَّلاَلِ يقترنُ بذلِكَ ظُهُورُ البِدَعُ، والْمَعاصِي فِيمَنْ يتبِعُهُم، والمرادُ ظُهورُ جماعةٌ يَدْعُونَ النَّاسِ إلىٰ البِدَعِ، والْمَعاصِي، والضَّلالِ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ!.

٨) أَنَّ قُلُوبَ الْمُبْتَدِعَةِ فِي حِينِ الهُدْنةِ مَعَ بَعْضِهِم بَعْضاً؛ لا تَكُونُ صَافِيةٌ عَنِ الحِقْدِ، والبُغْضِ فِيمَا بَيْنَهُم، كَمَا كَانتْ صافِيةٌ قَبْلَ ظُهورِهِمْ البِدَعِ فيهِمْ، نَعَمَ يقعُ شَرٌّ هُوَ فِتنةٌ عظِيمَةٌ، وبَليةٌ جَسِيمةٌ، يُعْمَىٰ فِيهَا النَّاسُ عَنْ أن يَرَوْا الحَقَّ، ويُصمّ أهلُها عَنْ أن يَسْمَعُوا فِيهَا كَلَمةَ الحقِّ، والنَّصِيحَةِ!.

٩) أَنَّ يكُونَ وَصْفُ الفِتْنةِ للنَّاسِ لِمَا فِيهَا مِنَ الظَّلاَمِ، وعَدمِ ظُهورِ الحَقِّ فِيهَا، وشدَّةِ أمرِهَا، وصَلاَبَةِ أَهْلِها فِي العَصَبيَّةِ للبَاطِلِ، وعَدَمِ الْتِفَاتِ بَعْضِهم إلىٰ بَعْضٍ في الْمَشَاهدة والْمَكَانةِ!.

---

(١) **قلتُ**: يُقالُ: هَدَنَ؛ سَكَنَ.

(٢) **قلتُ**: فعلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعتزِلَ دُعَاةَ الضَّلاَلَةَ، ويصبرَ عَلَىٰ غُصَصِ الزَّمانِ، والتَّحَمَّلَ لمشَاقِّهِ، وشَدائِدِهِ إلىٰ أن يَمُوتَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، والحَمْدُ للهِ تَعَالَىٰ.

١٠) أَنَّ الْمُبْتدِعَةَ عَلَىٰ ضَلاَلَةٍ وهُمْ: السَببُ فِيهَا، بَلْ هُمْ كائِنُونَ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ مِنَ النَّارِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يتَّفِقُوا عَلَىٰ الدُّخولِ فِيهَا!، والعَيَاذُ باللهِ.

١١) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ دَعْوَةَ الدُّعاةِ[1]، وإِجَابةَ الْمَدْعُوينَ سَبباً لإِدْخَالِهم إِيَّاهُم في جَهَنَّمَ، ودُخُولُهم فِيهَا!، والعِيَاذُ باللهِ.[2]

وَكَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُسَمِّي «أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ» كُلَّهُمْ خَوَارِجَ وَيَقُولُ: «اخْتَلَفُوا فِي الِاسْمِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ السَّيْفِ».

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ اللاَّلَكَائِيُّ في «الاعْتِقَادِ» (٢٩٠)، وأَبُو القَاسِمِ البَغَوِيُّ في «الجَعْدِيَّات» (١٢٣٦)، والفِرْيَابِيُّ في «القَدَرِ» (ص٢١٥)، والهَرَوِيُّ في «ذَمِّ الكَلاَمِ» (٩٧٧) بإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

---

(١) **قلتُ**: ويدخُل في الدُّعاةِ مَنْ قَامَ بالفِتْنةِ في طَلَبِ الحُكْمِ، والْمُلْكِ مِنَ: «الخَوارج»، و«الرَّوافِضِ»، و«الإِبَاضِيَّةِ»، و«الإخوانية»، و«الصُّوفِيَّةِ»، و«الدَّاعشِيَّةِ»، و«الرَّبيعيَّةِ»، و«التُّرَاثِيَّةِ»، و«السُّرورِيَّة»، و«القطبية» وغَيْرِهم مِمَّنْ لم يُوجدْ فِيهم شُروطُ الإمارةِ، والإمَامَةِ، والوُلاَيةِ، وهذا ظاهرٌ في الثَّوراتِ التَّي قامتْ في «تُونِس»، و«اليَمَنِ»، و«لِيبْيَا»، و«سُوريا»، و«مِصْرَ»، وغَيْرِ ذَلِكَ.

وانظر: «مِرْقَاة الْمَفاتيح شَرْحِ مِشْكاة الْمَصَابيح» للقَارِي (ج٩ ص٢٥٨).

(٢) وانظر: «مِرْقَاة الْمَفاتيح شَرْحِ مِشْكاة الْمَصَابيح» للقَارِي (ج٩ ص٢٥٨ و٢٧٢)، و«الكَاشف عنِ حَقَائِقِ السُّنن» للطِّيبِيِّ (ج١٠ ص٥١ و٦٠)، و«الْمِنْهَاج» للنَّوَوِيِّ (ج١٢ ص٢٣٧)، و«عَوْن الْمَعْبُود شَرْحِ سُنن أبي داود» للعَظِيمِ آبَادِي (ج١١ ص٣١٦).

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رحمه الله **في «الفِصَلِ» (ج٤ ص٢٢٧)**: (وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ جَمِيعَ فِرَقِ الضَّلَالَةِ لَمْ يُجْرِ اللهُ عَلَىٰ أَيْديهِم خيراً، وَلَا فَتَحَ بِهِمْ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ قَرْيَةً، وَلَا رَفَعَ لِلْإِسْلَامِ رايةً، **وَمَا زَالُوا يَسْعَوْنَ فِي قَلْبِ نِظَامِ الْمُسْلِمِينَ**، ويُفَرِّقُونَ كَلِمَةَ الْمُؤمنِينَ، **ويَسَلُّوْنَ السَّيْفَ عَلَىٰ أَهْلِ الدِّينِ**، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ). اهـ

قلتُ: ولا يزالُ هؤلاءِ سببُ رِيبةٍ وشكٍّ في الدِّين؛ لكثيرٍ مِنَ النَّاسِ، لأنَّهم يُظهرونَ شَيئًا، ويُبْطنونَ شَيْئًا آخرَ، اللَّهمَّ سلِّم سلِّم.

قَالَ الشَّيْخُ العَلاَّمَةُ صالحُ بنُ فَوْزان الفَوْزان حَفِظَهُ اللهُ في «إِعَانَةِ المُسْتَفِيدِ» (ج١ ص٢٤٣): (التَّنبيهُ عَلَىٰ خِدَاعِ الْمُخادعِينَ، وأنْ يكُونَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ حَذَرٍ دَائِمًا مِنَ الْمُشْبوهِينَ ومِنْ تَضليلِهِم، وأَنَّهم **قدْ يَتظاهَرونَ بالصَّلاَحِ، ويَتظاهَرونَ بالمشَاريعِ الخَيريَّةِ ـ كَبِنَاءِ المَسَاجِدِ!ـ** ولكنْ مَا دَامَتْ سَوابقهُم، وَمَا دَامَتْ تَصرُّفاتُهم تَشْهَدُ بكَذبِهم؛ فإنَّهُ لا يُقبلُ منهُم، ولا نَنخدعُ بالْمَظَاهرِ دَونَ النَّظرِ إلىٰ الْمَقاصدِ، وإِلَىٰ ما يَترتبُ –ولَو عَلَىٰ الْمَدَىٰ البَعِيدِ– عَلَىٰ هذهِ الْمَظَاهرِ ... ففيه تنبيهُ الْمُسْلمينَ إِلَىٰ الحَذَرِ فِي كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ مِنْ تَضْليلِ الْمُشْبوهِينَ، **وأَنَّ كُلَّ مَنْ تَظاهرَ بالخَيْرِ والصَّلاَحِ والمَشَاريع الخيريَّةِ** لا يَكُونُ صَالحًا ... فإنَّنا نأخذُ الحَذَرَ مِنْهُ ولاَ نَنْخَدِعُ).اهـ

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تِيمِيَّةَ رحمه الله **فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج٢ ص١٣٢)**؛ **عَنِ المُبْتدعَةِ**: (وَيَجِبُ عُقُوبَةُ كُلِّ **مَنْ انْتَسَبَ إِلَيْهِمْ، أَوْ ذَبَّ عَنْهُمْ، أَوْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ**، أَوْ عَظَّمَ كُتُبَهُمْ، أَوْ عُرِفَ بِمُسَاعَدَتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ، **أَوْ كَرِهَ الْكَلَامَ فِيهِمْ، أَوْ أَخَذَ يَعْتَذِرُ لَهُمْ**، بِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا يَدْرِي مَا هُوَ؟ أَوْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ صَنَّفَ هَذَا الْكِتَابَ؟... **وَأَمْثَالَ هَذِهِ**

الْمَعَاذِيرِ الَّتِي لَا يَقُولُهَا إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُنَافِقٌ؛ بَلْ تَجِبُ عُقُوبَةُ كُلِّ مَنْ عَرَفَ حَالَهُمْ، وَلَمْ يُعَاوِنْ عَلَىٰ الْقِيَامِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْقِيَامَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ؛ **لِأَنَّهُمْ أَفْسَدُوا الْعُقُولَ وَالْأَدْيَانَ عَلَىٰ خَلْقٍ مِنْ الْمَشَايِخِ، وَالْعُلَمَاءِ، وَالْمُلُوكِ، وَالْأُمَرَاءِ، وَهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**). اهـ

وقَالَ العلَّامةُ الشَّيْخُ صالح الفَوْزان حَفِظَهُ اللهُ في «وُجُوبِ التَّثْبتِ في الأخْبَارِ واحْتِرَامِ العُلَمَاءِ» (ص٥٠): (إنَّ وجُودَ الْمُثقفين، والخُطَباءِ الْمُتحَمسِينَ لا يُعَوِّضُ الأُمة عَنْ عُلمائِها... وَهَؤُلاَءِ قُرَّاءٌ ولَيْسُوا فُقهاءَ فإطْلاَقُ لَفْظِ العُلَمَاءِ عَلَىٰ هَؤُلاَءِ إِطْلاَقٌ في غَيْرِ مَحلّهِ، والعِبْرةُ بالحَقَائقِ لا بالأَلْقَابِ فكَثِيرٌ مِمَّنْ يُجيدُ الكَلاَمَ، ويَسْتَمِيلُ العِوامّ وَهُوَ غَيْرُ فقيهٍ، والَّذي يَكْشفُ هَؤُلاَءِ أَنَّه عِنْدَما تَحْصلُ نَازَلةً يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَعْرفةِ الحُكْمِ الشَّرعي فِيهَا فإنَّ الخُطَباءَ، والْمُتحمِسِينَ تَتَقَاصَرُ أَفْهَامُهُمْ، وعِنْدَ ذَلِكَ يَأْتِي دُورُ العُلَمَاءِ.

فَلْنتَبه لذَلِكَ، ونُعطي عُلَمَاءَنَا حَقَّهُمْ، ونَعْرِفُ قَدْرَهُمْ، وفَضْلَهُم، ونَنزلُ كُلاًّ مَنزلتهُ اللاَّئقةُ بهِ). اهـ

وَعَنِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ).

حديثٌ حسنٌ

أَخْرجَهُ ابنُ مَاجَه في «سُننهِ» (٤٣)، وأَحْمَدُ في «الْمُسْنَدِ» (ج٤ ص١٢٦)، والحَاكِمُ في «الْمُسْتَدْرَكِ» (ج١ ص٩٦)، وفي «الْمَدْخلِ إلىٰ الصَّحيحِ» (ج١ ص٥٥)، والآجُرِّيُّ في «الشَّرِيعَةِ» (ص٤٧)، والطَّبَرَانِيُّ في «الْمُعْجَمِ الكَبِيرِ» (ج١٨ ص٢٤٧)،

وفي «مُسْنَدِ الشَّاميّينَ» (٢٠١٧)، وابنُ أَبِي عَاصِمٍ في «السُّنَّةِ» (ج١ ص٢٧)، وابنُ عَبْدِ البَرِّ في «جامعِ بيانِ العِلْمِ» (ص٤٨٢)، والْمُخَلِّصُ في «سَبعةِ مَجَالس مِنْ أَمَالِيهِ» (ج٤ ص١٦٤)، والزَّنْجَانِيُّ في «المُنْتَقَىٰ مِنْ فَوَائِدِهِ» (ص٥٠).

وإسنادهُ حسنٌ.

قلتُ: فاللهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بالهُدَىٰ، ودينِ الحقِّ ليظهرهُ عَلَىٰ الدِّين كلِّهِ ولو كَرِهَ الظَّالمونَ، بَعثهُ بالحَنِيفيَّةِ السَّمْحَة، ليُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إِلَىٰ النُّورِ؛ مِنْ ظُلْمَةِ الشِّركِ، والبِدْعَةِ، والْمَعْصيَّةِ إِلَىٰ نُورِ التَّوحيدِ، والسُّنَّةِ، والطَّاعةِ، دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ الْمَحجَّةِ البَيْضَاء، وإِلَىٰ السُّنَّةِ الغَراءِ حَتَّىٰ تَركَهُم وَمَا مِنْ خَيْرٍ؛ إِلاَّ دلَّهُم عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ؛ إلاَّ حذَّرَهُم منهُ.

ولِذَا تَلقاهَا أَهْلُ السُّنةِ والجَمَاعَةِ بالقَبُولِ والتَّسْلِيم، فآمنُوا باللهِ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بَهَذَا الدِّين، فكَانَ هَذَا مِمَّا أَغَاظَ أعداءُ اللهِ في الخَارجِ والدَّاخلِ، فصَارُوا يُفكِّرُونَ في الطَّريقةِ الَّتي يَطْعَنُونَ بِهَا فِي بُلدانِ الْمُسْلِمِينَ، الَّتي هِيَ فَيها سببُ اجْتماعِهم وعِزَّتِهم، فَرَأوا أنَّ الكَيْدَ للإِ سْلاَمِ عَلَىٰ الحِيلةِ أَنْجَع، فأظْهَرُوا حُبّهُم للإِ سْلاَمِ والْمُسْلِمِينَ في بُلدَانِهم، لا رَغْبة في حُبِّهم، بَلْ للكَيْدِ للمُسلِمِينَ والإِ سْلامِ با سْمِ الإِ سْلامِ، و سَلكُوا لذَلِكَ طُرقاً شَتّىٰ، ومِنْ ذَلِكَ طعنهُم في نُصُوصِ الأُصُولِ والفُرُوعِ، بل زَعَمُوا كَذِباً وزُوراً أنَّ العملَ بِهَا في هَذَا العَصْرِ لا يَصْلحُ، فيعْملُونَ مِنْهَا مَا يَشاءُونَ، ويَتْركُونَ مَا يَشاءُونَ؛ لذَلِكَ لَجَئُوا إِلَىٰ تَحْريفِ النُّصُوصِ وتَأْويلِهَا عَنْ

مَعْناهَا الحَقِيقيّ بحُجَّةِ: «الرُّؤيةِ العَصْرِيَّةِ»؛ فَسَرَتْ هَذِهِ الآفّةُ في جَمِيعِ الفِرَقِ الضَّالة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].(١)

قلتُ: ولا يُضِلُّ إلاَّ مَنِ ارْتَكَبَ سَبَبَ الضَّلالةِ فاللهُ يُضِلُّهُ(٢): ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [النحل:٤٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

وقَالَ الإمَامُ البَرْبَهَارِيُّ رحمه الله في «السُّنَّةِ» (ص٣٨٢): (وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثَارِ، أَوْ يَرُدُّ الآثَار، أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الآثَارِ؛ فاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإِسْلاَمِ، وَلاَ تَشُكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ مُبْتَدِعٍ!). اهـ

وَقَالَ تَعَالَىٰ؛ عَنْ أَمْثالِ الحِزْبِيَّةِ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩)﴾ [النور: ٤٨ و٤٩].

هَذَا وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَأَنْ يُرِينَا الحَقَّ حَقّاً، وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ، وأَنْ يُرِينَا البَاطِلَ بَاطِلاً، ويَرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وآخِرُ دَعْوَنَا أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ.

---

(١) وانظر: «الفِصَل في الْمِلَلِ والأهواءِ والنِّحل» لابنِ حَزْمٍ (ج٢ ص١٠٩).

(٢) وانظر: «شَرْحَ السُّنة» للشَّيْخ الفَوْزان (ص٤٤٦).

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَثَرِيُّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التَّمْهِيدُ

ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ البِدْعِيَّةَ، لَمْ تُفْرَضْ عَلَى أُمَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِهَا؛ بَلْ مَرْفُوضَةٌ فِي الدِّيْنِ، وَيَحْرُمُ التَّعَبُّدُ بِالتَّرَهُّبِ فِي العِبَادَةِ، فَلَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ

١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ» (ج١ ص٧٨):

(وَقَالَ سُبْحَانَهُ، عَنِ الضَّالِّينَ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ وَقَدِ ابْتُلِيَ طَوَائِفُ[1]: مِنَ المُسْلِمِينَ مِنَ: «**الرَّهْبَانِيَّةِ**» المُبْتَدِعَةِ بِمَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ). اهـ

وَقَالَ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الفَتَاوَىٰ» (ج٧ ص١٥٦): (الرَّهْبَانِيَّةُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ

---

(١) مِنْهُمْ: «**المُقَلِّدَةُ**»، وَ«**المُتَنَصِّبَةُ**»، وَ«**المُتَحَزِّبَةُ**»، وَ«**المُتَفَقِهَةُ**»، وَ«**المُتَصَوِّفَةُ**»، و«**المُتَرَبِّعَةُ**»، و«**المُتَثَقِّفَةُ**»، وَغَيْرُهُمْ فِي البُلْدَانِ الإِسْلَامِيَّةِ.

قُلْتُ: وَوَقَعَ هَؤُلَاءِ فِي «**الرَّهْبَانِيَّةِ**» البِدْعِيَّةِ، بِسَبَبِ الغُلُوِّ فِي التَّقْلِيدِ.

فَالمُقَلِّدُونَ عَلَىٰ عَمَىٰ: حَيْثُ أَطَاعُوا مَنْ قَلَّدُوهُمْ فِي أَخْطَائِهِمْ، وَرَدُّوا فِي الأَحْكَامِ: صَرِيحَ نُصُوصِ الكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالآثَارِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

رِضْوَانِ اللهِ﴾ [الحديد: ٢٧]، وَقَدِ ابْتُلِيَ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ: **الرَّهْبَانِيَّةِ الْمُبْتَدِعَةِ** بِمَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ). اهـ

قُلْتُ: وَإِذَا رَأَيْتَ: «**الْمُتَنَصِّبَةَ**»، وَ«**أَتْبَاعَهُمْ**» فِي عِبَادَاتِهِمْ للهِ تَعَالَىٰ، تَبَيَّنَ بِاليَقِينِ: أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ مِنَ: «**الرُّهبَانِ العُبَّادِ**»، وَأَنَّهُمْ أَسَّسُوا لَهُمْ: «**رَهْبَانِيَّةً**» فِي الإِسْلَامِ؛ ابْتَدَعُوهَا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، لَمْ يَفْرِضْهَا اللهُ عَلَيْهِمْ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

والرَّهْبَانِيَّةُ: التَّرَهُّبُ: التَّعَبُّدُ.

و«**تَرَهَّبَ**»: الرَّاهِبُ: انْقَطَعَ للعِبَادَةِ.

و«**الرَّاهِبُ**»: المُتَعَبِّدُ.

والرُّهْبَانُ: جَمْعُ رَاهِبٌ.(٢)

---

(١) وإذا رأيتَ القومَ في البُلدان، وما يَقومُونَ به من سِياسةِ: «**رُهبانِ النَّصارىٰ**» وغيرِ ذَلِكَ، دَخَلَ في ذِهْنِكَ؛ أَنَّهم مِنَ: «**الرُّهْبَانِ**»، وقد ابْتدعُوا: «**الرَّهبانيَّة**» في الإسْلامِ، ولابدَّ.

(٢) وانظر: «المِصْباح المُنير» للفَيُّوميّ (ص١٢٦)، و«العَيْنَ» للفَراهِيديِّ (ج١ ص٧١٩)، و«مُختارَ الصِّحاحِ» للرَّازيّ (ص١٠٩)، و«القامُوس المُحِيط» للفَيْرُوز آبادي (ص١١٩)، و«النِّهاية في غَريبِ الحديثِ» لابنِ الأثِيرِ (ج٢ ص٥٩٢)، و«مُعجم تَهذيبِ اللُّغةِ» للأزهريِّ (ج٢ ص١٤٨٣)، و«الكشفَ والبيان» للثَّعْلبيّ (ج٥ ص٣٤)، و«أَحْكَامَ القُرْآنِ» لابنِ العَرَبِيِّ (ج٤ ص١٧٤٤).

قَالَ الفَيُّومِيُّ اللُّغوي رحمه الله **في «المِصْبَاح المُنير» (ص١٢٦)**: (**وَالرَّهْبَانِيَّةِ**: مِنْ ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] مَدَحَهُمْ عَلَيْهَا ابْتِدَاءً؛ ثُمَّ ذَمَّهُمْ عَلَىٰ تَرْكِ شَرْطِهَا؛ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]). اهـ

قلتُ: ففي هذهِ الآيةِ يُبيِّن اللهُ تَعالىٰ أن الَّذي يلزمُ نفسه بالتمسُّكِ بالدِّين فِعْلاً، فيجِبُ عليهِ أن يلتزمَ به جُملةً وتَفْصيلاً، وإلاَّ وَقَعَ في: «**الرَّهبَانيةِ**» المَذمُومةِ[1]، ولابدَّ.

قالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله **في «تَفْسير القُرآن» (ج٦ ص٥٦٧)**: (**قولهُ تَعالىٰ**: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ فيه قولانِ:

أحدهما: أنَّهم قَصدُوا بذلكَ رِضْوان اللهِ، **والآخر**: ما كَتبنا عليهِمْ ذلكَ إنَّما كتبْنَا عَليهِمْ ابتغاءً رِضْوانِ اللهِ.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؛ أي: فَما قَامُوا بما التزَمُوهُ حَقّ القيامِ.

* وهذا ذَمٌّ لهُم مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: في الابْتداعِ في دينِ اللهِ ما لم يَأمر به اللهُ تعالىٰ.

والثَّاني: في عَدَمِ قيامهِمْ بما التزموهُ مِمَّا زَعَمُوا أنَّه قُربةٌ يُقرِّبهُم إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ). اهـ

قَالَ الإِمَامُ ابنُ العَرَبِيِّ المَالِكِيِّ رحمه الله **في «أَحْكَامِ القُرْآنِ» (ج٤ ص١٧٤٥)**: (قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ مِنْ وَصْفِ: «**الرَّهْبَانِيَّةِ**»). اهـ

---

(١) وانظر: «المِصْبَاحَ المُنِيرَ» للفَيُّومِيِّ (ص١٢٦).

قلتُ: فَإِنَّ نَاسًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ابْتَدَعُوا بِدَعًا لَمْ يَكْتُبْهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، ابْتَغَوْا بِهَا رِضْوَانَ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، فَعَاتَبَهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ، وَعَاقَبَهُمْ.(١)

قَالَ القُرْطُبِيُّ المُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الجَامِعِ لأَحْكَامِ القُرْآنِ» (ج١٧ ص٢٦٣): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها﴾؛ أَيْ: فَمَا قَامُوا بِهَا حَقَّ الْقِيَامِ.

وَهَذَا خُصُوصٌ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَرْعَوْهَا بَعْضُ الْقَوْمِ، وَإِنَّمَا تَسَبَّبُوا بِالتَّرَهُّبِ إِلَىٰ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ عَلَىٰ النَّاسِ وَأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ: «**الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ**» لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وَهَذَا فِي قَوْمٍ أَدَّاهُمْ: «**التَّرَهُّبُ**» إِلَىٰ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ).اهـ

* لذلكَ صَارَتِ: «**الرَّهْبانيةُ**» اسْمًا الآن: لمَنْ تَعدّىٰ حُدودَ اللهِ تعالىٰ في الدِّينِ، وأفرطَ فيهِ بالمُخالفاتِ في الأُصولِ والفُروعِ، والمَنْهَجِ، والدَّعْوَةِ إلىٰ الله.(٢)

فـ: «**المُتَنَصِّبَةُ**»، وأَتْبَاعُهُم: ابْتَدَعُوا الآن: «**رَهبانيةً**» في الإِسْلاَمِ، قَدِ ابْتَدَعُوهَا بسببِ خُبثِ أنفسهِم، وجَهْلِهِمْ في الدِّينِ.

---

(١) وانظر: «أَحْكَامَ القُرْآنِ» لابنِ العَرَبِيِّ (ج٤ ص١٧٤٥).

(٢) وانظر: «النِّهاية في غَريب الحديث» لابنِ الأثيرِ (ج٢ ص٥٩٢)، و«تَفْسير القُرآن» لأبي المُظفَّرِ السَّمعانيِّ (ج٥ ص٣٧٩)، و«زادَ المَسيرِ في علمِ التّفسيرِ» لابنِ الجَوْزِي (ج٨ ص١٧٦ و١٧٧)، و«مُعجم تَهذيب اللُّغةِ» للأزهريِّ (ج٢ ص١٤٨٣ و١٤٨٤)، و«فتحَ القَدير» للشَّوْكانيِّ (ج٤ ص٢٤٠)، و«القامُوس المُحيط» للفَيْرُوز آبادي (ص١١٩)، و«مَدَارجِ السَّالكين» لابنِ القَيِّمِ (ج٢ ص٦٠)، و«العَيْنَ» للفَرَاهِيدي (ج١ ص٧١٩)، و«لسانَ العرَب» لابنِ مَنظور (ج٣ ص١٧٤٨ و١٧٤٩)، و«تفسيرَ القرآن» لابنِ كثيرٍ (ج٦ ص٥٦٧ و٥٦٨) و«مَحَاسنَ التَّأويل» للقاسميِّ (ج١٦ ص٥٧ و٥٨)، و«أَحْكَامَ القُرْآنِ» لابنِ العَرَبِيِّ (ج٤ ص١٧٤٤ و١٧٤٥).

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ معناها: لم تُكْتَبْ عليهم البَتَّةَ.

قالَ الحَافظُ ابنُ الجَوْزِيِّ رحمه الله في «زَادِ المَسيرِ» (ج٨ ص١٧٦): (قولهُ تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؛ ليسَ هَذَا مَعْطُوفًا علىٰ ما قَبله، وإنَّما انْتصبَ بفِعْلٍ مُضمرٍ، يدلُّ عليْهِ ما بعدَهُ، تَقْديرهُ: وابْتدعُوا: «**رهبانيةً**» ابتدَعُوها، أي: جَاءُووا بها من قِبَلِ أنفسِهم، وهيَ غلوُّهمْ في العِبَادةِ، وحَمل المَشَاقّ علىٰ أنفسِهُم). اهـ

وقال العَلاَّمةُ الشَّوكانيُّ رحمه الله في «فَتْحِ القَدِير» (ج٤ ص٢٤٠): (وذلكَ لأنَّهم غَلَوْا في العِبَادَةِ، وَحَمَلُوا علىٰ أنفسِهِمْ المَشَقَّات). اهـ

قلتُ: فإنَّهم ما رَعَوْهَا؛ لتبديل دِينهِم، وتغييرهم لهُ، فاتَّبعوا: «**الرَّهبانيةَ البدعيَّةَ**» في حَيَاتهِمْ، فَضلُّوا وأَضلُّوا.(١)

قالَ الإمامُ ابنُ القَيِّم رحمه الله في «مَدَارِجِ السَّالكينَ» (ج٢ ص٣٩١): (قولهُ تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؛ أي: لَمْ نَشرعْهَا لهُمْ، بل هُمْ ابْتَدعُوها من عندِ أنفسِهمْ، ولم نَكْتُبْهَا عَليهِمْ). اهـ

---

(١) وانظر: «زادَ المَسيرِ في عِلْمِ التَّفْسير» لابنِ الجَوْزِي (ج٨ ص١٧٧)، و«مَحَاسن التّأويل» للقَاسمِيّ (ج١٦ ص٥٧ و٥٨)، و«مَدَارِجَ السَّالكِينَ» لابنِ القَيِّم (ج٢ ص٦٠)، و«فَتْحَ القَدِيرِ الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من عِلْمِ التَّفسير» للشَّوْكَانِيِّ (ج٤ ص٢٤٠)، و«تَفْسِير القُرآن» لأبي المُظفَّر السَّمعانِيِّ (ج٥ ص٣٧٩ و٣٨٠)، و«الوَسِيطَ» للوَاحِدِيِّ (ج٥ ص٢٥٤)، و«الصَّحِيحَةَ» للشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ (ج٤ ص٢٨٧).

وقالَ العَلاَّمةُ القاسمِيُّ رحمه الله في «مَحاسنِ التَّأويلِ» (ج١٦ ص٦٠)؛ عَنْ أَفْعَالِ رُهْبَانِ النَّصَارَىٰ المَشِينَةِ: (فَيتنعَّمُونَ وَحْدُهُم في أَدْيِرَتِهِمْ[1]، ويَسلبُونَ أَمْوالَ الشَّعب «بالحِيَلِ»، و«المُخَادَعَاتِ»[2] وَهُمْ: كُسَالىٰ بَطَّالونَ، يَعِيشُونَ مِنْ أَتعابِ[3] غَيْرِهِمْ!).اهـ

* وَمَا أَشْبَهَ اللَّيلةِ بالبَارِحَةِ!.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣].

---

(١) دَيْرٌ: مَسكن الرُّهبان، والرَّهبات، ويُقالُ: الدَّيْرَةُ، والجَمْعُ: أَدْيِرَةٌ، وأَدْيارٌ، ودُيُورَةٌ.

انظر: «الرَّائِدَ» لجُبران (ص٣٨٩)، و«المِصْباح المُنير» للفيومي (ص١٠٨).

(٢) الخُدْعَةُ: جَمْعُ؛ خُدَعٌ، وهيَ الغِشُّ، والحِيلَةُ، والمَكْرُ.

انظر: «الرَّائِدَ» لجُبْران (ص٣٥٣)، و«المِصْبَاحَ المُنِيرَ» للفَيُّومِيُّ (ص٨٩).

(٣) **قلتُ**: فاحْتالَ: «**المُتَحَزِّبَةُ**» في البُلدَانِ الإسْلامِيَّةِ: **بأنْ يَعِيشُوا مِنْ أَتْعابِ الشُّعُوبِ**، بِمَا يُسَمَّىٰ: بـ«**الأَعْمَالِ الخَيْرِيَّة**» عَنْ طَرِيقِ جَمْعياتهِمْ الحِزْبِيَّةِ، فَهُمْ: «**الرُّهْبَانُ**» في الإسْلاَمِ!، بِمِثْلِ: «**الرُّهْبَانِ**» في النَّصْرَانِيَّةِ، اللَّهُمَّ غُفْراً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

قلتُ: وبذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ هَؤُلاَءِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بَاباً وَاسِعاً لدُخُولِ الشَّيطَانِ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا البَابِ، فَأَضَلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً، والعِيَاذُ باللهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ أي: خَارِجُونَ عَنْ مُوجبِ الإيمَانِ، ومَقاصِدِهِ.

وانظر: «مَحَاسنَ التَّأوِيل» للقَاسِمِيِّ (ج١٦ ص٥٨).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩].

قلت: فعُلَمَاءُ السُّوءِ، وعُبَّادُ الضَّلاَلِ، يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ عَنْ طَرِيقِ مَنَاصِبِهِمْ، وَرِيَاسَتِهِمْ، وتَبرُّعَاتِهِمْ فِي البُلْدَانِ الإِسْلامِيَّةِ، ويَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ أَتِّبَاعِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، والسُّنَّةِ النَّبوِيّةِ، والآثَارِ الصَّحابيّةِ، والأَقْوَالِ السَّلَفِيَّةِ.(١)

٢) وعَنْ عُرْوَةَ، وَعَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، اسْمُهَا خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ عَلَىٰ عَائِشَةَ، وَهِيَ بَاذَّةُ الْهَيْئَةِ(٢)، فَسَأَلَتْهَا: مَا شَأْنُكِ؟ فَقَالَتْ: زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ عَائِشَةُ، فَلَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟(٣) فَوَاللهِ إِنَّ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَحْفَظَكُمْ لِحُدُودِهِ لأَنَا).

---

(١) وانظر: «تَيْسيرَ الكَرِيمِ الرَّحْمنِ» للشَّيْخ السِّعديِّ (ج٣ ص٢٢٦)، و«الوَسِيطَ فِي تَفْسيرِ القُرآن المَجِيد» للوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٤٩١ و٤٩٢)، و«تَفْسيرَ القُرْآن» لابنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٧٨)، و«مَحَاسنَ التَّأويل» للقاسمِيِّ (ج٨ ص١٩٢)، و«أَنْوارَ التَنْزِيلِ» للبَيْضَاوِيِّ (ج١ ص٤٠٣)، و«مَعَالِمَ التَّنْزِيل» للبَغَويِّ (ج٢ ص٢٨٦)، و«الجَامعَ لأَحْكَامِ القُرْآنِ» للقُرْطِبِيِّ (ج٨ ص٧٨)، و«فتحَ القَدير» للشَّوْكَانِيِّ (ج٢ ص٣٥٥)، و«البحرَ المُحيطَ» لأبي حِيَّانَ (ج٥ ص٣٢)، و«التَّفْسِيرَ الكَبِير» للرَّازيِّ (ج١٥ ص٣٤ و٣٥)، و«زَادَ المَسيرِ» لابنِ الجَوْزِيِّ (ج٣ ص٤٢٨)، و«تَفْسِيرَ القُرآن» للسَّمْعَانِيِّ (ج٢ ص٣٠٤)، و«رُوحَ المَعَانِي» للآلوسِيِّ (ج١٠ ص٨٤)، و«جَامعَ البَيَان» للطَّبرِيِّ (ج١١ ص٤٢٤)، و«تَفسيرَ القُرآن» لابنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٦ ص١٧٨٧)، و«الكَشْفَ والبَيَانِ» للثَّعلبِيِّ (ج٥ ص٣٤).

(٢) **بَاذَّةُ الْهَيْئَةِ**: يَعْنِي: سَيِّئَةَ الهَيْئَةِ.

انْظُرْ: «الحَاشِيَةَ عَلَىٰ مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» لِلسِّنْدِيِّ (ج٥ ص٥٥١).

(٣) وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ تَعْظِيمٌ للأُسْوَةِ بالنَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم، واتِّبَاعِهِ

انْظُرْ: «الحَاشِيَةَ عَلَىٰ مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» لِلسِّنْدِيِّ (ج٥ ص٥٠٥).

حَدِيثٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ في «المُصَنَّفِ» (١٠٣٧٥)، وَأَحْمَدُ في «المُسْنَدِ» (ج٦ ص٢٢٦)، وَالطَّبَرَانِيُّ في «المُعْجَمِ الكَبِيرِ» (٨٣١٩)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ» (ج٦ ص٢٥٧)، والهَرَوِيُّ في «ذَمِّ الكَلاَمِ» (ج٢ ص٣٥٨)، والوَاحِدِيُّ في «الوَسِيطِ» (ج٤ ص٢٥٥)، وعَبْدُ الحَقِّ الإِشْبِيلِيُّ في «الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الكُبْرَىٰ» (ج٣ ص٣٦٣)، وأَبُو القَاسِمِ البَغَوِيُّ في «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» (ج٤ ص٦٥)، وَابنُ حِبَّانَ في «صَحِيحِهِ» (٩)، وَالبَزَّارُ في «المُسْنَدِ» (١٤٥٨-كَشْفُ الأَسْتَارِ) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، وَعَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «إِرْوَاءِ الغَلِيلِ» (ج٧ ص٧٩): (وَهَذَا سَنَدٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا). اهـ

وَقَالَ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (ج٤ ص٢٨٧): (وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ؛ رِجَالُهُ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الإِرْسَالِ، فَإِنَّ الغَالِبَ أَنَّ عُرْوَةَ تَلَقَّاهُ مِنْ خَالَتِهِ عَائِشَةَ رضي الله عنها).[1] اهـ

وانظر: «صَحِيحَ الجَامِعِ» للشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ (٧٩٤٦).

والحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (ج٥ ص١١٢ و١١٣).

---

(١) وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ في «الدُّرِّ المَنْثُورِ» (ج٥ ص٤٣٠).

وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (ج٤ ص٣٠١): (وَأَسَانِيدُ أَحْمَدَ رِجَالُهَا ثِقَاتٌ؛ إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ «**إِنَّ أَخْشَاكُمْ**» أَسْنَدَهَا أَحْمَدُ، وَوَصَلَهَا الْبَزَّارُ: بِرِجَالٍ ثِقَاتٍ). اهـ

وَذَكَرَهُ ابنُ حَجَرٍ فِي «إِتْحَافِ المَهَرَةِ» (ج١٧ ص٢٠٥).

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» (١٣٦٩)، وَأَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» (ج٦ ص٢٦٨)، وَالبَزَّارُ فِي «المُسْنَدِ» (ج١٨ ص١٠٧)، وابنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «العِيَالِ» (٤٩٣) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: (**يَا عُثْمَانُ، أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**).

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وقال الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (ج٥ ص١١٢): (وَهَذَا إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، صَرَّحَ فِيهِ ابنُ إِسْحَاقَ بالتَّحْدِيثِ).

وَأَوْرَدَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي «كَشْفِ الأَسْتَارِ» (ج٢ ص١٧٣)، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (ج٤ ص٣٠١).

وَذَكَرَهُ المِزِّيُّ فِي «تُحْفَةِ الأَشْرَافِ» (ج١١ ص٥٨٠)، وابنُ حَجَرٍ فِي «إِتْحَافِ المَهَرَةِ» (ج١٧ ص٣٨٤)، وفِي «أَطْرَافِ المُسْنَدِ» (ج٩ ص١٧٢).

والحَدِيثُ حَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الغَلِيلِ» (ج٧ ص٧٩).

وَأَخْرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣١٦)، وَأَبُو يَعْلَىٰ فِي «المُسْنَدِ» (٧٢٤٢) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بنِ الْخَطَّابِ الْبَلَدِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَابِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا

إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ؛ وَفِيهِ: قَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: **(يَا عُثْمَانُ، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ)**.

وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ فِي المُتَابَعَاتِ.

وَأَوْرَدَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (ج٤ ص٣٠٢)؛ ثُمَّ قَالَ: (رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِأَسَانِيدَ، وَبَعْضُ أَسَانِيدِ الطَّبَرَانِيِّ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ). اهـ

وأَخْرَجَهُ أَبُو القَاسِمِ البَغَوِيُّ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» (ج٤ ص٦٥)، وابنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الكُبْرَىٰ» (ج٣ ص٣٩٥) مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بنِ زَيْدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بنُ عَيَّاشٍ الْجَرْمِيُّ، **عَنْ أَبِي قِلابَةَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ؛ فَذَكَرَهُ، وَفِيهِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: (يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي بِالرَّهْبَانِيَّةِ، وَإِنَّ خَيْرَ الدِّينِ عِنْدَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ)**.

وَهَذَا مُرْسَلٌ، بِإِسْنَادٍ لاَ بَأْسَ بِهِ فِي المُتَابَعَاتِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (ج٤ ص٢٨٦): (وَهَذَا إِسْنَادٌ مُرْسَلٌ لاَ بَأْسَ بِهِ فِي الشَّوَاهِدِ). اهـ

وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ المَنْثُورِ» (ج٥ ص٤٣١).

٣) وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ الَّذِي كَانَ مِنْ تَرْكِ النِّسَاءِ، بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا عُثْمَانُ، إِنِّي لَمْ أُومَرْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ، أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي؟).

حَدِيثٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ في «المُسْنَدِ» (٢٢١٥) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ، وَحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (ج٥ ص١١٣)، وفي «الصَّحِيحَةِ» (ج١ ص٧٥٠).

وَقَالَ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (ج٤ ص٢٨٧): (وَسَنَدُهُ حَسَنٌ).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله **في «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ» (ج١ ص١٦٠)**: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ مُشَابَهَةَ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ في هَذِهِ الآصَارِ وَالأَغْلَالِ، وَزَجَرَ أَصْحَابَهُ عَنِ «**التَّبَتُّلِ**»[1]، وَقَالَ: «**لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ**»[2]). اهـ

قُلْتُ: فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ تَعَالَىٰ، بِالتَّرَهُّبِ البِدْعِيِّ.[3]

---

(١) **التَّبَتُّلُ**: الانْقِطَاعُ عَنِ الدُّنْيَا لِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

انْظُرْ: «مُخْتَارَ الصِّحَاحِ» لِلرَّازِيِّ (ص٤٠)، وَ«أَحْكَامَ القُرْآنِ» لِابنِ العَرَبِيِّ (ج٢ ص٦٣٧ و٦٣٨).

(٢) أَوْرَدَهُ البَغَوِيُّ في «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج٢ ص٣٧١).

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ في «المُصَنَّفِ» (ج٨ ص٤٤٨)؛ بِلَفْظِ: (**وَلَا تَرَهُّبَ فِي الإِسْلَامِ**).

وَذَكَرَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (ج٤ ص٣٨٨).

(٣) وَانْظُرْ: «الجَامِعَ الصَّغِيرَ» لِلسُّيُوطِيِّ (ج٢ ص٧٤٦)، وَ«كَشْفَ الخَفَاءِ» لِلعَجْلُونِيِّ (ج٢ ص٥٢٨)، وَ«اقْتِضَاءَ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ» لِابنِ تَيْمِيَّةَ (ج١ ص٤٧٤ و٤٧٥)، وَ«أَحْكَامَ القُرْآنِ» لِابنِ العَرَبِيِّ (ج٢ ص٦٣٧ و٦٣٨ و٩٣٧)، و«الفَتَاوَىٰ» لِشَيْخِنَا ابنِ عُثَيْمِينَ (ج٧ ص١٥٦)، و«الصَّحِيحَةَ» لِلشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ (ج٤ ص٢٨٧).

قَالَ الحَافِظُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج٢ ص٣٧١): (وَيُرْوَىٰ «**لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ**»، وَذَلِكَ مِثْلُ الاخْتِصَاءِ، وَاعْتِنَاقِ السَّلاسِلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مِمَّا كَانَتِ: «**الرَّهْبَانِيَّةُ تَتَكَلَّفُهُ وَتَبْتَدِعُهُ**»، وُضِعَتْ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ). اهـ

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ» (ج١ ص١٥٢): (فَعُلِمَ أَنَّ مُشَابَهَتَهَا[1]: لليَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَفَارِسَ وَالرُّومِ، مِمَّا ذَمَّهُ اللهُ تعالىٰ، وَرَسُولُهُ ﷺ، وَهُوَ المَطْلُوبُ). اهـ

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ» (ج١ ص٤٧٥): (وَالنَّصَارَىٰ تُجِيزُ لِأَحْبَارِهِمْ، وَرُهْبَانِهِمْ: شَرْعَ الشَّرَائِعِ وَنَسْخَهَا، فَلِذَلِكَ لَا يَنْضَبِطُ لِلنَّصَارَىٰ شَرِيعَةٌ تُحْكَىٰ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَىٰ الأَزْمَانِ).[2] اهـ

وَقَالَ الفَقِيهُ ابنُ العَرَبِيِّ المَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَحْكَامِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٣٦٨): (كَانَتْ شَرِيعَةُ مَنْ قَبْلَنَا: «**بِالرَّهْبَانِيَّةِ**» وَشَرِيعَتُنَا: «**بِالسَّمْحَةِ الْحَنِيفِيَّةِ**»). اهـ

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وَقَالَ الفَقِيهُ ابنُ العَرَبِيِّ المَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَحْكَامِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٦٣٦): (نَهَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ مِنْ طَرِيقَيْهِ: فِي التَّوْحِيدِ، وَفِي الْعَمَلِ؛

---

(١) يَعْنِي: مُشَابَهَةَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهُوَ بَيَانٌ لِمَرْجَعِ الضَّمِيرِ.

(٢) **قُلْتُ**: وَهَذَا مِثْلُ: المُتَحَزِّبَةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِمْ: لَا تَنْضَبِطُ لَهُمُ فَتَاوَىٰ فِي الدِّيْنِ، فَيُجِيزُونَ لِأَنْفُسِهِمْ فِعْلَ البَاطِلِ فِي دَعَوَاتِهِمُ البَاطِلَةِ، اللَّهُمَّ غُفْراً.

فَغُلُوُّهُمْ فِي التَّوْحِيدِ: نِسْبَتُهُمْ لَهُ الْوَلَدَ سُبْحَانَهُ، **وَغُلُوُّهُمْ فِي الْعَمَلِ** مَا ابْتَدَعُوهُ مِنْ: «**الرَّهْبَانِيَّةِ**» فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَالْعِبَادَةِ وَالتَّكْلِيفِ). اهـ

قلتُ: فَلَمْ يُبْعَثْ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم بالرَّهْبَانِيَّةِ، إِنَّمَا بُعِثَ بالحَنَفِيَّةِ السَّمْحَةِ.(١)

وَبَوَّبَ الحَافِظُ عَبْدُ الحَقِّ الإِشْبِيلِيُّ رحمه الله **فِي «الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الكُبْرَىٰ» (ج٣ ص٢٦٢)**؛ بَابُ: مَا جَاءَ فِي الرَّهْبَانِيَّةِ، وَالتَّشْدِيدِ عَلَىٰ النَّفْسِ، وَفَتْرَةِ المُجْتَهِدِ، وَمَا يُحْذَرُ مِنْهُ.

❁ ❁ ❁

(١) وانظر: «الصَّحِيحَةَ» للشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ (ج٤ ص٣٨٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ المُتَنَصِّبَةَ المُقَلِّدَةَ يُعْتَبِرُونَ مِنَ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى فِي دِينِهِ بِالتَّقْلِيدِ المَذْمُومِ، والجَهْلِ المُرَكَّبِ؛ لأَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى العِلْمِ، مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى نَيْلِ المَنَاصِبِ الدِّينيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ لِكَسْبِهِمُ الأَمْوَالَ؛ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا؛ بَلْ إِنَّ هَؤُلاءِ يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى عَلَى حَرْفٍ فِي الدِّينِ فَهُمْ: لَيْسُوا بِقُدْوَةٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، والعِلْمِ، وَأَنَّ هَذِهِ: «الرَّهْبَنَةَ» ضَلُّوا بِسَبَبِهَا، ثُمَّ أَكَلُوا عَنْ طَرِيقِهَا أَمْوَالَ المُسْلِمِينَ بِالبَاطِلِ، ثُمَّ بِسَبَبِ هَذِهِ المَنَاصِبِ، والأَمْوَالِ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى فِي الأُصُولِ والفُرُوعِ فِي الدِّينِ[1]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ مَعْرِفَةَ فِرَقِ الرُّهْبَانِ، وَمَذَاهِبِهَا، وشُبُهَاتِهَا، وشَهَوَتِهَا؛ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ للمُسْلِمِينَ العُقَلاَءِ؛ لأَنَّ هَؤُلاءِ الرُّهْبَانِ: عِنْدَهُمْ شُبُهَاتٌ، وَضَلاَلاَتٌ، وَشَهَواتٌ.

---

(١) وَهُمْ: «رُهْبَانُ الإِخْوَانِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ القُطْبِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ الصُّوفِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ السُّرُورِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ الدَّاعِشِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ الرَّبِيعِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ اليَمَنِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ التُّرَاثِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ التَبْلِيغِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ الطَّالِحِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ المُمَيَّعَةِ»، و«رُهْبَانُ الأَشْعَرِيَّةِ»، و«رُهْبَانُ الإِبَاضِيَّةِ» وَغَيْرُهُمْ مِنْ دُعَاةِ البَاطِلِ فِي هَذَا العَصْرِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

فَقَدْ يَغْتَرُّ المُسْلِمُ الجَاهِلُ بِهِمْ، ويَنْخَدِعُ فِيهِمْ، فَيَنْتَمِي إِلَيْهِمْ، وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ بِهِمْ، لِمَا لَهُمْ مِنْ دَعْوَةٍ بَاطِلَةٍ، وأَفْكَارٍ خَبِيثَةٍ، فالخَطَرُ شَدِيدٌ مِنَ الرُّهْبَانِ فِي الإِسْلاَمِ، فانْتَبِهْ.

وَقَدْ وَعَظَ اللهُ تَعَالَىٰ النَّاسَ كَافَّةً، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الرُّهْبَانِ، وَمِنْ عِبَادَاتِهِمْ البَاطِلَةِ، وَمِنْ دَعَوَاتِهِمْ الفَاسِدَةِ، وَمِنْ شَرِّهِمْ، وَبَيَّنَ تَعَالَىٰ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣].

وإِلَيْكَ الدَّلِيلُ:

١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

٢) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

قلتُ: فَأَنْتَمْ، وأَمْثَالكَمْ مِنْ دُعَاةِ البَاطِلِ أَسْوأ صُنْعًا فِيمَا صَنَعْتُمْ فِي الشَّبابِ الجَهَلَةِ الّذِينَ أَحْسَنُوا فِيكُمْ الظّنّ، فَجَاءُوا فِي جِهَتِكُمْ؛ فأَوْقَعْتمُوهُم فِي شَرِّ البَاطِلِ، وإِلىٰ الآن فِي ضَلالِهِمْ، وشَرِّهِمْ القَدِيمِ[1]، نعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧].

---

(١) وانظر: «جَامعَ البَيان» للطَّبريّ (ج١٣ ص٢٧٧)، و«تَفسِيرَ القُرآنِ» لمُقاتلِ بنِ سُلَيْمَانَ (ج٢ ص٣٤٦)، و«الدُّرّ المَنْثُور» للسُّيُوطِيّ (ج٨ ص٢٩٩).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

٣) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥].

قلتُ: فَيَجُوزُ أنْ يُقالَ للمَرْءِ الضّالّ فِعْلاً؛ بمِثْلِ هَذَا الكَلاَمِ، ويُحْتَجُّ عَلَيْهِ بَهَذِهِ الآيةِ؛ لأنَّ القُرآنَ حُجَّةٌ عَلَىٰ الجَمِيعِ، فافْهَم لهَذَا تَرْشَد.

٤) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١].

يَعْني: عَلَىٰ جَهْلٍ، وشَكٍّ، وضَلاَلٍ في الدِّين؛ فَيعبدهُ بلِسَانهِ دُونَ قَلبهِ.(١)

قلتُ: ومِنْ عَادَةِ هَذَا الصِّنْفِ لا يَثبتُ، ولا يُصيبُ الحَقَّ عِنْدَ المِحَنِ، والفِتَنِ، وَهَذَا الضَّلالُ في: «**المُتَنَصِّبَةِ المُقَلِّدَةِ**»، وأَشْكَالِهِمْ في هَذاَ الزّمَانِ: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

---

(١) وانظر: «جَامِعَ البَيَان» للطَّبريِّ (ج١٧ ص١٢٢ و١٢٣ و١٢٤)، و«فَتْحَ البَارِي» لابنِ حَجَرٍ (ج٨ ص٤٤٢)، و«الدُّر المَنْثُورَ» للسُّيوطِيِّ (ج١٠ ص٤٢٩ و٤٣٠)، و«الكَشْفَ والبَيَانَ» للثَّعْلَبِيِّ (ج٧ ص٩)، و«تَفْسِيرَ القُرآن» لابنِ وَهْبٍ (ج٢ ص١٧ و١٨)، و«تَفْسِيرَ القُرْآنِ» لعَبْدِ الرَّزَاق (ج٢ ص٣٣)، و«تَفْسِيرَ القُرْآنِ» لمُقاتلِ بنِ سُلَيْمَانَ (ج٣ ص١١٨)، و«تَيْسِيرِ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» للشَّيخِ السِّعديِّ (ج٥ ص٢٧٨ و٢٧٩ و٢٨٠).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وعَنْ نَوْفٍ البِكَالِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قال في الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]: (إِنِّي لَأَجِدُ صِفَةَ نَاسٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ: «قَوْمٌ يَجْتَالُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ لِبَاسَ مُسُوكِ[1] الضَّأْنِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ).[2]

٥) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤].

يَعْنِي: أنْ يُعْجِزُونَا، وأنْ يَفُوتُونا بأعْمَالِهِم السَّيئةِ مِنَ الضَّلاَلاَتِ، والمَعَاصي؛ حتّىٰ نجزيَهُم بَهَا في الدُّنيا والآخِرَةِ، حَتَّىٰ لا نَقدرَ عَلَيْهِمْ فَنعذِّبهُم؛ أي: قَدْ حَسِبُوا ذلكَ، ولَيْسَ كَمَا ظَنُّوا، فَسَاءَ ما يَقْضُون.[3]

---

(١) مُسُوك: جمعُ مَسْكٌ، وهو الجِلْد.

وانظر: «النِّهاية» لابنِ الأثيرِ (ج٥ ص١٨٥)، و«المِصْبَاح المُنير» للفيُّوميّ (ص٢٩٥).

(٢) **أثرٌ صحيحٌ**.

أَخْرَجَهُ ابنُ وَهْب في «تَفْسيرِ القُرآنِ» (ج٢ ص١٧ و١٨)، والطَّبريُّ في «جامعِ البَيانِ» (ج٣ ص٥٧٥).

وإسنادهُ صحيحٌ.

(٣) وانظر: «الدُّر المَنثُور» للسُّيُوطيِّ (ج١١ ص٥٣٠)، و«تَفْسيرَ القُرآن» لابنِ سَلاَّم (ج٢ ص٦١٦)، و«تَفْسِيرَ القُرآنِ» لمقاتلِ بنِ سُليمانَ (ج٣ ص٣٧٢)، و«جَامعَ البيان» للطَّبَريّ (ج١٨ ص٣٦٠)، و«المُحَرَّر الوجيز» لابنِ عطيّةَ (ج٦ ص٦٢٥)، و«تَفْسِيرَ القُرآنِ» للبُسْتِيِّ (ص٦٧).

قَالَ ابنُ عَطيّةَ المُفّسر في «المُحَرَّرِ الوَجيز» (ج٦ ص٦٢٥): (قَوْلهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [العنكبوت: ٤]؛ وإنْ كَانَ الكُفَّارُ المُرَادُ الأَوَّلُ بِحَسَبِ النَّازِلَةِ الَّتِي الكَلاَمُ فِيهَا؛ فَإِنَّ لَفْظَ الآيةِ يَعُمُّ كُلَّ عَاصٍ، وَعَامِلٍ سَيّئة مِنَ المُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ). اهـ

قلتُ: فَمَنْ كَانَ يَخْشَىٰ ذَلِكَ؛ فَلْيَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالحَاتِ قَبْلَ المَمَات.(١)

قال تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٥، ٦].

٦) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

٧) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩-٣٠].

قلتُ: و: «**المُقَلِّدُ الحِزْبِيُّ**» هذا إذا خَالفهُ وَاحِدٌ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ رَمَاهُ بالافْتِرَاءِ أَمَامَ المَلأِ: بأنّه عَلَىٰ الأَفْكَارِ الشَّاذَّةِ لينفرَ النَّاسَ عَنْهُ بالإِرْهَابِ الفِكْرِيِّ، ﴿واسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦].

---

(١) **والحِزْبِيُّ**؛ هَذَا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وإذا دَقّقتَ الأمرَ، وجدتَ أَنَّ هَذَا: «**المُتَعَصِّبَ**»: هُوَ عَلَىٰ الأَفْكَارِ الشَّاذَّةِ في أَحْكَامِ الأُصُولِ والفُرُوعِ؛ لأنَّ المُتَعَصِّبِينَ في الدِّينِ؛ هُمْ: الشَّاذُّونَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

والعِبْرةُ بعُمُومِ اللَّفْظِ لا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.(١)

قالَ الأزْهريُّ اللُّغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «مُعجم تَهذيب اللُّغةِ» (ج٢ ص١٤٨٤): (قوله تعالىٰ:** ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]؛ أي: أَرْهَبُوهُمْ، وَتَرَهَّبَ غَيْرَهُ: إِذَا تَوَعَّدَهُ). اهـ

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]، وهذا فيه تَبيِّينٌ من اللهِ تعالىٰ إلىٰ تكذيبِهِمْ.

قلتُ: وَهُؤلاءِ «**المُتَنَصِّبَةُ المُقَلِّدَةُ**» في امْتدادِ حَيَاتِهِمْ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، ويَكْذِبونَ علىٰ رَسُولهِ ﷺ، وفي الدِّينِ في الأُصُولِ والفُرُوعِ، وهمْ يَعْلَمُونَ ذلكَ ثمّ يَدّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ الحَقِّ المُبين، والعياذُ بالله، فلم يُفلحوا، ولن يُفلحوا إلىٰ أن يَمُوتوا لحِسَابِهم عندَ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

---

(١) وانظر: «القَواعدَ الحِسَان المُتعلِّقة بتفسير القُرآن» للشَّيخ السِّعدي (ص١٨).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

قلتُ: فَهَؤُلاَءِ المُبْتَدِعَةُ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الشَّرِّ، وأَهْلَكُوا أتباعَهُم، وذلكَ بما أَمْلَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ الشَّيْطَانِيَّة: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ٨٣].

قلتُ: واغْتِرَارُ هَؤُلاَءِ بِحِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ يُعَدُّ مِنْ طَمْسِ البَصِيرَةِ، وإلاَّ فكَيْفَ يُغْترُّ عَبْدٌ بِحِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ يَقْرأ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨].

وَمَا أَكْثرُ هَذَا الصِّنْفِ فِي عَالمِ البَشَرِ اليَوْم، قَدْ سَقَطَ الحَيَاءُ مِنْهُ، وتَبَلَّدَ حِسُّهُ، وظَهَرَ فِسْقُهُ، وطَارَ شَرُّهُ بَيْنَ الخَلاَئِقِ، وَزَاحَمَ أهلُ الظُّلْمِ، والفَسَادِ فِي الشَّرِّ، والعِنَادِ نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

إذاً فالوَاجِبُ عَلَىٰ العَاقِلِ أنْ يَحْذرَ مُخَالطَةُ أَصْحَابِ الأَهْوَاء، فإنَّ نارَهَا تَحْتَ الرَّمادِ، ونَسألُ الله السَّلامةَ.

قَالَ الإمَامُ القَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «القَصِيدَةِ النُّونِيَّةِ» (ص٧):

لاَ يَصْحَبُ البِدْعِيُّ إلاَّ مَثْلَهُ

تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ

فَأَيْنَ الْمُتّعظُونَ؟ أَيْنَ الْمُعْتبرُونَ؟ أَيْنَ أُولُو الأَحْلامِ والنُّهىٰ؟ أَمَا طَالَعُوا عُقُوبات اللهِ فِيمَنْ سَبَقَ، وعَظِيمَ سَطْوتهِ بمَنْ عَصَىٰ، وعَائد، وكَذَبَ؟ أَتَاهُمْ العَذابُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ، أَخَذَهمُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِر، وحَذَّرهُمْ بَأْسَهُ، وعِقَابه، وَأَلِيم عَذابهِ، وعَظِيمَ سَطْوتِهِ، فَمَا ارْتَدَعُوا، ولا انْزَجَرُوا، ورَجِعُوا قَدْ أَنْذرهُمْ عَلَىٰ ألسُن رُسلِهِ فَظَلُّوا في طُغْيانهُمْ يَعْمَهُون، وفي الضّلاَلِ سَادِرُونَ، وحَاقَ بهِمْ مِنَ العَذَابِ مَا كَانُوا بهِ يَسْتهزُؤنَ، وأَتَاهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥].

قَالَ شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الفَتَاوَىٰ» (ج١٠ ص١٤٤): (وَبَنُو آدَمَ هُمْ جُهَّالٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ يَسْتَعْجِلُ أَحَدُهُمْ مَا تُرَغِّبُهُ لَذَّتُهُ، وَيَتْرُكِ مَا تَكْرَهُهُ نَفْسُهُ مِمَّا هُوَ لَا يَصْلُحُ لَهُ، فَيَعْقُبُهُمْ ذَلِكَ مِنْ الْأَلَمِ وَالْعُقُوبَاتِ، إمَّا فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ مَا فِيهِ عِظَمُ الْعَذَابِ، وَالْهَلَاكِ الْأَعْظَمِ). اهـ

---

(١) انظر: «تَحْذِير السَّالكِينَ مِنْ أَصْنافِ الْمُغترِينَ» لأبي أَنسٍ السّيد (ص٣٧).

قلتُ: وَمِنْ هُنَا يَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُتعالِمينَ[1] الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتَنِ، وَالْمِحَنِ، وَالْبَلاءِ، وَعَدَمِ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ لِيُجْتَنَبُوا، وَيُصَارُ إِلَىٰ أَهْلِ الرُّسُوخِ، لِيُسْتَدْفَعْ الْبَلاءَ بِهِمْ مِنْ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتُدْرَأْ الْفِتَنَ، وَتَرْسُوا السَّفِينَةُ إِلَىٰ بَرِّ الْأَمَانِ فِي الْبُلْدانِ.

* والسُّنَّة النّبويّة كَشَفَت للمُسْلِمِينَ هذَا الصِّنْف مِنَ النَّاسِ.

٨) **فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)**.

أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٣٣)، وفي «خَلْقِ أَفْعَالِ العِبَادِ» (ص٤٧)، وفي «التَّاريخ الكبير» (ج١ ص٢٥٧)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص٢٠٨)، وفي «التَّمْيِيز» (ص١٧٥)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُنَنِهِ» (ج٥ ص٣١)، والنَّسَائِيُّ في «السُّنن الكُبْرَىٰ» (ج٣ ص٤٥٦)، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ بنُ أَحْمَدَ في «زَوَائِدِهِ عَلَىٰ جُزْءِ نَافعِ بن أَبِي نُعَيْم» (ص٥٩)، وابنُ الْمُقرئ في «الْمُعْجَم» (ص٩١)، وابنُ مَاجَة في «سُننِهِ» (ج١ ص٢٠)، وأَحْمَدُ في «الْمُسْنَدِ» (ج٢ ص١٦٢)، والخَطَّابِيُّ في «العُزْلَةِ» (ص٩١)، والدَّارِمِيُّ في «الْمُسْنَدِ» (ج٢ ص١٦٢)، والسِّلَفِيُّ في «المَشْيَخةِ البَغْدَادِيَّة» (ج١ ص٢٧٤)، وفي (ق/ ٥٨/ ط)، وأَبُو القَاسِمِ الدِّمَشْقِيُّ في «الفَوَائِدِ» (ص٤٢)،

---

(١) كـ«الَّذِينَ يخرجُونَ مَسِيرَاتٍ فِي الشّوارعِ مَعَ الْفُسَّاقِ، وَالنِّساءِ مِنْ أَجْلِ الْمُقَاطَعَةِ وَغَيْرَهَا زَعَمُوا»؛ فَهَؤُلَاءِ وَإِنَّ نُسِبُوا إِلَىٰ الْعِلْمِ فَنِسْبَتُهُمْ صُورِيَّةَ شَكْلِيَّةٍ لَا أَثَرَ لَهَا فِي الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ عَلَيْهِمْ وَقَارٌ، وَسَمْتٌ لَا يخرجُونَ فِي الشّوارعِ هَكَذَا ويمنعهُم عَلْمُهُمْ وَحَيَاؤُهُمْ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ الْمُنْحَطِّ.

وابنُ مَرْدَوَيه في «المُنْتَقَىٰ» (ص٢٤١)، والفِرَبْرِيُّ في «زَوَائِدِهِ عَلَىٰ صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (ج١ ص١٩٤)، وابنُ رَشِيقٍ في «جُزْئِهِ» (ص٥٦)، وابنُ نُقْطة في «تَكْمِلَةِ الإِكْمَالِ» (ج٢ ص٣٧٦)، والدُّبَيْثِيُّ في «ذَيْلِ تَارِيخِ مَدينةِ السَّلاَمِ» (ج٤ ص١٠٩)، وعَبْدُ الغَنِيّ المَقْدَسِيُّ في «العِلْمِ» (ص٨٤)، والعُصْميُّ في «جُزْئِهِ» (ص١٢٥)، وابنُ طُولُون في «الفِهْرِسْتِ الأَوْسَط» (ج٣ ص٣٧٦)، و(ج٥ ص٦٥) مِنْ طَرِيقِ عُرْوةَ بنِ الزُّبيْرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو بهِ.

قلتُ: وَكَمْ شَهِدَ مِنْ شَاهِدٍ عَلَىٰ: «**المُتَحَزِّبَةِ**» مِمَّن كَانَ معَهُمْ، أَنَّهُمْ ضَالُّونَ[1] ومُنْحَرِفُونَ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

واعلمْ أنَّ الذي يَبقىٰ في طُول هذهِ المُدَّةِ علىٰ السُّوءِ، ونشر السُّوء إلىٰ الآن، فاعلمْ أن اللهَ تعالىٰ ابْتَلاَهُ إلىٰ بالسُّوءِ في حياته، ولم يَصْرفْهُ عنه؛ لأنه يُرِيدُ السُّوء، ونشرُ السُّوءِ، ولم يُخْلصْ للهِ تَعَالىٰ في دينهِ، وذلكَ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

قلتُ: والعِبرةُ بعُمومِ اللَّفظ لا بخُصوصِ السَّبب، فافْطَنْ لهذا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

---

(١) بل شَهِدَ العُلماءُ عليهِم أنّهم ضالُّونَ في الدَّعوةِ اللهِ تعالىٰ؛ منهُم: و«**الشَّيخُ ابنُ بَازٍ**»، و«**الشَّيخُ الألبانيُّ**»، و«**الشَّيخُ الفوزانُ**»، و«**شَيْخُنا ابنُ عُثيمينَ**»، و«**الشَّيخُ ابنُ غصون**»، و«**الشَّيخُ مُحمَّد الجاميُّ**»، و«**الشَّيخُ الوَادِعِيُّ**»، وغيرُهم من عُلَمَاءِ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ.

قلتُ: وإذا رأيتَ: «**المُتَنَصِّبَةَ**»، و«**أَتْبَاعَهُمْ**» في عِبَاداتِهِمْ لله تعالىٰ، تَبيّنَ باليقينِ: أن هَؤُلاءِ القومَ مِنَ: «**الرُّهبَانِ العُبَّادِ**»، وأنَّهم أَسّسُوا لهُم: «**رَهْبانيّة**» في الإسْلامِ؛ ابْتَدَعُوها من قِبَلِ أنفسهِم، لم يَفْرضْها اللهُ عليهِمْ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

والرَّهْبَانِيَّةُ: التَّرَهُّبُ: التَّعَبُّدُ.

و«**رَهِبَ**»، و«**رَهَبًا**» خَافَ، والاسْمُ: «**الرَّهْبَةُ**»، فَهُوَ: «**رَاهِبٌ**»، وأَصْلُهُ: مِنَ الرَّهْبَةِ، وهي الخَوْفِ.

و«**تَرَهَّبَ**»: الرَّاهِبُ: انْقَطَعَ للعِبَادَةِ.

و«**الرَّاهِبُ**»: المُتَعَبِّدُ.

و«**أَرْهَبَهُ**»، و«**اسْتَرْهَبَهُ**»: أَخَافَهُ.

والرُّهْبَانُ: جَمْعُ رَاهِبٌ.(٢)

---

(١) وإذا رأيتَ القومَ في البُلدان، وما يَقومُونَ به من سِياسةِ: «**رُهبانِ النَّصارىٰ**» وغيرِ ذَلِكَ، دَخَلَ في ذِهْنِكَ؛ أنَّهم مِنَ: «**الرُّهْبَانِ**»، وقد ابْتدعُوا: «**الرَّهبانيَّة**» في الإسْلامِ، ولابدَّ.

(٢) وانظر: «المِصْباح المُنير» للفَيُّوميّ (ص١٢٦)، و«العَيْنَ» للفَراهِيديِّ (ج١ ص٧١٩)، و«مُختارَ الصِّحاحِ» للرَّازيّ (ص١٠٩)، و«القامُوس المُحِيط» للفَيْرُوز آبادي (ص١١٩)، و«النِّهاية في غَريبِ الحديثِ» لابنِ الأثِيرِ (ج٢ ص٥٩٢)، و«مُعجم تَهذيبِ اللُّغةِ» للأزهريِّ (ج٢ ص١٤٨٣)، و«الكشفَ والبيان» للثَّعْلبيّ (ج٥ ص٣٤).

قال الفَيُّومِيُّ اللُّغوي رحمه الله **في «المِصْبَاح المُنير» (ص١٢٦): (وَالرَّهْبَانِيَّةِ:** مِنْ ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] مَدَحَهُمْ عَلَيْهَا ابْتِدَاءً؛ ثُمَّ ذَمَّهُمْ عَلَىٰ تَرْكِ شَرْطِهَا؛ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]). اهـ

قلتُ: ففي هذهِ الآيةِ يُبيِّن اللهُ تَعالىٰ أن الَّذي يلزمُ نفسه بالتمسُّكِ بالدِّين فِعْلاً، فيجِبُ عليهِ أن يلتزمَ به جُملةً وتَفْصيلاً، وإلاَّ وَقَعَ في: «**الرَّهبَانيةِ**» المَذمُومةِ[1]، ولابدَّ.

لِذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢]؛ بمعنىٰ: الرَّهْبَةِ: وهي الخَوف والخَشية من الله تعالىٰ.[2]

قلتُ: فيجبُ علىٰ العبدِ إذا تَطَوَّعَ أنْ يلتزم بما فَرَضَ اللهُ عليهِ في الدّعوةِ إلىٰ اللهِ، فلا يُبدِّل، ولا يُغيِّر في الدِّينِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

قالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله **في «تَفْسير القُرآن» (ج٦ ص٥٦٧): (قولهُ تَعالىٰ:** ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ فيه قولانِ:

---

(١) وانظر: «المِصْباح المُنير» للفَيُّومي (ص١٢٦).

(٢) وانظر: «فَتْحَ القَدِير» للشَّوكانيِّ (ج٤ ص٢٤٠)، و«زادَ المَسيرِ في علمِ التَّفسير» لابنِ الجَوْزي (ج٨ ص١٧٦ و١٧٧)، و«مُعْجَمَ تَهذيبِ اللُّغة» للأزهريِّ (ج٢ ص١٤٨٣ و١٤٨٤)، و«القامُوس المُحيط» للفَيْرُوز آبادي (ص١١٩)، و«العَيْنَ» للفَرَاهِيدي (ج١ ص٧١٩)، و«لسانَ العَرب» لابنِ مَنظور (ج٣ ص١٧٤٨ و١٧٤٩)، و«تَفسير القُرآن» لابنِ كَثِيرٍ (ج٦ ص٥٦٧ و٥٦٨)، و«مَحاسن التّأويل» للقاسميِّ (ج١٦ ص٥٧و٥٨).

أحدهما: أنَّهم قَصدُوا بذلكَ رِضْوان اللهِ، **والآخر**: ما كَتبنا عليهِمْ ذلكَ إنَّما كتبْنَا عَليهِمْ ابتغاءً رِضْوانِ اللهِ.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؛ أي: فَما قَامُوا بما التزَمُوهُ حَقّ القيامِ.

* وهذا ذَمٌّ لهُم مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: في الابْتداعِ في دينِ اللهِ ما لم يَأمر به اللهُ تعالىٰ.

والثَّاني: في عَدَمِ قيامهِمْ بما التزموهُ مِمَّا زَعَمُوا أنَّه قُربةٌ يُقرِّبهُم إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ). اهـ

قلتُ: فهَذَا الَّذي فَعَلَهُ: «**المُتَنَصِّبَةُ**» **الرُّهْبَانُ** في مَنَاصِبِهِمْ الدِّينيَّةِ، وأَتْبَاعُهُم: «**الرُّهْبَانُ**»؛ فَإِنَّهُمْ: لَمْ يَلتزِمُوا بالدِّين علىٰ أمرِ اللهِ تعالىٰ، وأمرِ رَسُولهِ ﷺ؛ بل ابْتَدَعُوا في الدِّين مالمْ يأمرْ به اللهُ تَعَالَىٰ، وَلَمْ يَأمرْ بهِ الرَّسولُ ﷺ من الأفكارِ البِدْعِيَّةِ، ثم زَعَمُوا أنَّ هذهِ الأفكارَ المَشْبُوهة[1] هي: قُربةٌ تُقرِّبُهم إلىٰ اللهِ تَعالىٰ.

قالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله **في «مَدَارِجِ السَّالكينَ» (ج٢ ص٦٠)**: (والقَصْدُ: أنَّ اللهَ سبحانه وتَعالىٰ ذَمَّ من لمْ يرع قُربة ابْتدعَهَا للهِ تعالىٰ حَقَّ رِعَايتها[2]؛ فكيفَ بمن لَمْ يرع قُربة شَرعها الله لعباده، وأذن بها، وحَثَّ عليها). اهـ

---

(١) خَاصَةً الأَفْكَارُ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي أَخَذُوهَا مِنْ: «**رُهبانِ النَّصارىٰ**»، والّتي نَشَرُوها في البُلدان علىٰ أَنَّهَا مِنَ الدَّعْوةِ إلىٰ اللهِ!: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(٢) بزَعْمِ الرَّاهِبِ أنه سوفَ يرعيها حَقَّ رِعَايتها.

وقال العَلاَّمَةُ القاسميُّ رحمه الله **في «مَحَاسنِ التَّأويلِ» (ج١٦ ص٦٠)؛ عَنِ الرَّاهبِ المُنْحَرِفِ**: (فَمَنْ يُقاومه: يُقاوم الشَّيْطان). اهـ

* **والرَّهبانِيَّةُ**: هِيَ مِنْ: «**رَهْبَةِ النَّصارىٰ**»، فلا: «**رَهْبَانِيَّةَ**» في الإسْلامِ، **والرَّهبانيةُ**: هيَ التَّعمُّقُ، والتَّنطعُ، والغُلو في الدِّينِ، والتَّعمُّدُ في المَشَاقِّ.

لذلكَ صَارَتِ: «**الرَّهْبانيةُ**» اسمًا الآن: لمَنْ تَعدّىٰ حُدودَ اللهِ تعالىٰ في الدِّينِ، وأفرطَ فيهِ بالمُخالفاتِ في الأُصولِ والفُروعِ، والمَنْهَجِ، والدَّعْوَةِ إلىٰ الله.(١)

فـ: «**المُتَنَصِّبَةُ**»، وأَتْبَاعُهُم: ابْتَدَعُوا الآن: «**رَهبانيةً**» في الإسْلاَمِ، قَدِ ابْتَدَعُوهَا بسببِ خُبثِ أنفسهِم، وجَهْلِهِمْ في الدِّينِ.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ معناها: لم تُكْتَبْ عليهم البَتَّةَ.

قالَ الحَافظُ ابنُ الجَوْزِيِّ رحمه الله **في «زَادِ المَسيرِ» (ج٨ ص١٧٦)**: **(قولهُ تعالىٰ**: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؛ ليسَ هَذَا مَعْطُوفًا علىٰ ما قَبله، وإنَّما انْتصبَ بفِعْلٍ مُضمرٍ، يدلُّ عليْهِ ما بعدَهُ، تَقْديرهُ: وابْتدعُوا: «**رهبانيةً**» ابتدَعُوها، أي: جَاءُووا بها من قِبَلِ أنفسِهم، وهيَ غلوُّهمْ في العِبَادةِ، وحَمل المَشَاقّ علىٰ أنفسِهُم).اهـ

---

(١) وانظر: «النِّهاية في غَريب الحديث» لابنِ الأثيرِ (ج٢ ص٥٩٢)، و«تَفْسير القُرآن» لأبي المُظفَّرِ السَّمعانيِّ (ج٥ ص٣٧٩)، و«زادَ المَسيرِ في علمِ التّفسيرِ» لابنِ الجَوْزِي (ج٨ ص١٧٦ و١٧٧)، و«مُعجم تَهذيب اللُّغةِ» للأزهريِّ (ج٢ ص١٤٨٣ و١٤٨٤)، و«فتحَ القَدير» للشَّوْكانيِّ (ج٤ ص٢٤٠)، و«القامُوس المُحيط» للفَيْرُوز آبادي (ص١١٩)، و«مَدَارجِ السَّالكين» لابنِ القَيِّمِ (ج٢ ص٦٠)، و«العَيْنَ» للفَرَاهِيدي (ج١ ص٧١٩)، و«لسانَ العرَب» لابنِ مَنظور (ج٣ ص١٧٤٨ و١٧٤٩)، و«تفسيرَ القرآن» لابنِ كثيرٍ (ج٦ ص٥٦٧ و٥٦٨) و«مَحَاسنَ التَّأويل» للقاسميِّ (ج١٦ ص٥٧ و٥٨).

وقال العَلاَّمَةُ الشَّوكانيُّ رحمه الله **في «فَتْحِ القَدِير» (ج٤ ص٢٤٠)**: (وذلكَ لأنَّهم غَلَوْا في العِبَادَةِ، وَحَمَلُوا علىٰ أنفسِهِمْ المَشَقَّات). اهـ

قلتُ: فإنَّهم ما رَعَوْهَا؛ لتبديل دِينهِم، وتغييرهم لهُ، فاتَّبعوا: «**الرَّهبانيةَ البدعيَّةَ**» في حَيَاتِهِمْ، فَضلُّوا وأَضلُّوا.(١)

قالَ الإمامُ ابنُ القَيِّم رحمه الله **في «مَدَارِجِ السَّالكينَ» (ج٢ ص٣٩١)**: **(قولهُ تعالىٰ**: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؛ أي: لَمْ نَشرعْهَا لهُمْ، بل هُمْ ابْتَدعُوها من عندِ أنفسِهِمْ، ولم نَكْتُبْهَا عَليهِمْ). اهـ

وقالَ العَلاَّمَةُ القاسمِيُّ رحمه الله **في «مَحاسنِ التَّأويلِ» (ج١٦ ص٦٠)؛ عَنْ أَفْعَالِ رُهْبَانِ النَّصَارَىٰ المَشِينَةِ**: (فَيتنعَّمُونَ وَحْدُهُم في أَدْيِرَتِهِمْ(٢)، ويَسلبُونَ أَمْوالَ الشَّعب «بالحِيَلِ»، و«المُخَادَعَاتِ»(٣) وَهُمْ: كُسَالىٰ بَطَّالونَ، يَعِيشُونَ مِنْ أَتعابِ(٤) غَيْرِهِمْ!).اهـ

---

(١) وانظر: «زادَ المَسيرِ في عِلْمِ التَّفْسير» لابنِ الجَوْزِي (ج٨ ص١٧٧)، و«مَحَاسن التّأويل» للقَاسمِيّ (ج١٦ ص٥٧ و٥٨)، و«مَدَارِجَ السَّالكِينَ» لابنِ القَيِّم (ج٢ ص٦٠)، و«فَتْحَ القَدِيرِ الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من عِلْمِ التَّفسير» للشَّوْكَانِيِّ (ج٤ ص٢٤٠)، و«تَفْسِير القُرآن» لأبي المُظفَّر السَّمعانِيِّ (ج٥ ص٣٧٩ و٣٨٠).

(٢) دَيْرٌ: مَسكن الرُّهبان، والرَّهبات، ويُقالُ: الدَّيْرَةُ، والجَمْعُ: أَدْيِرَةٌ، وأَدْيارٌ، ودُيُورَةٌ.

انظر: «الرَّائِدَ» لجُبران (ص٣٨٩)، و«المِصْباح المُنير» للفيومي (ص١٠٨).

(٣) الخُدْعَةُ: جَمْعُ؛ خُدَعٌ، وهيَ الغِشُّ، والحِيلَةُ، والمَكْرُ.

انظر: «الرَّائِدَ» لجُبْران (ص٣٥٣)، و«المِصْبَاحَ المُنِيرَ» للفَيُّومِيُّ (ص٨٩).

(٤) **قلتُ**: فاحْتالَ: «**المُتَحَزِّبَةُ**» في البُلدَانِ الإسْلامِيَّةِ: **بأنْ يَعِيشُوا مِنْ أَتْعَابِ الشُّعُوبِ**، بِمَا يُسَمَّىٰ: بـ«**الأَعْمَالِ الخَيْرِيَّة**» عَنْ طَرِيقِ جَمْعياتِهِمْ الحِزْبِيَّةِ، فَهُمْ: «**الرُّهْبَانُ**» في الإسْلاَمِ!، بِمِثْلِ: «**الرُّهْبَانِ**» في النَّصْرَانِيَّةِ، اللَّهُمَّ غُفْراً.

=

* وَمَا أَشْبَهَ اللَّيلةِ بالبَارِحَةِ!.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩].

قلت: فعُلَمَاءُ السُّوءِ، وعُبَّادُ الضَّلاَلِ، يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ عَنْ طَرِيقِ مَنَاصِبِهِمْ، وَرِيَاسَتِهِمْ، وتَبرُّعَاتِهِمْ فِي البُلْدَانِ الإِسْلامِيَّةِ، ويَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ أَتِّبَاعِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، والسُّنَّةِ النَّبوِيّةِ، والآثَارِ الصَّحَابيّةِ، والأَقْوَالِ السَّلَفِيَّةِ.(١)

=

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

قلتُ: وبذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ هَؤُلاَءِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بَابًا وَاسِعًا لدُخُولِ الشَّيطَانِ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا البَابِ، فَأَضَلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً، والعِيَاذُ باللهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ أي: خَارِجُونَ عَنْ مُوجبِ الإيمَانِ، ومَقاصِدِهِ.

وانظر: «مَحَاسنَ التَّأويل» للقَاسِمِيِّ (ج١٦ ص٥٨).

(١) وانظر: «تَيْسيرَ الكَرِيمِ الرَّحْمنِ» للشَّيْخ السِّعديِّ (ج٣ ص٢٢٦)، و«الوَسِيطَ في تَفْسيرِ القُرآن المَجِيد» للوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٤٩١ و٤٩٢)، و«تَفْسيرَ القُرْآن» لابنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٧٨)، و«مَحَاسنَ التَّأويل» للقاسمِيِّ (ج٨ ص١٩٢)، و«أَنْوارَ التَنْزِيلِ» للبَيْضَاوِيِّ (ج١ ص٤٠٣)، و«مَعَالِمَ التَّنْزِيل» للبَغَويِّ (ج٢ ص٢٨٦)، و«الجَامعَ لأَحْكَامِ القُرْآنِ» للقُرْطِبِيِّ (ج٨ ص٧٨)، و«فتحَ القَدير» للشَّوْكَانِيِّ (ج٢ ص٣٥٥)، و«البحرَ المُحيطَ» لأبي حيَّانَ (ج٥ ص٣٢)، و«التَّفْسِيرَ الكَبِير» للرَّازيِّ (ج١٥ ص٣٤ و٣٥)، و«زَادَ المَسيرِ» لابنِ

=

قالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢ - ٥٦].

وعَنِ الضَّحَّاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (أَحْبَارُهُمْ: قُرَّاؤُهُمْ، وَرُهْبَانُهُمْ: عُلَمَاؤُهُمْ).(١)

أثرٌ حسنٌ

أَخْرجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (٩٨٨)، والطَّبَرِيُّ في «جَامِعِ البَيَانِ» (ج١١ ص٤١٧)، وابنُ المُنْذِرِ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٧ ص٣٢٤- الدُّر المَنْثُور) مِنْ طَرِيقِ حَجَّاجِ بنِ حَمْزَةَ حَدَّثنا جَعفرُ بنُ عَوْنٍ أنبأنا سَلَمَةُ بنُ نُبَيْطٍ عن الضَّحَاكِ بِهِ.

قلت: وَهَذَا سَندُهُ حَسَنٌ.

وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ في «الكَشْفِ والبَيَانِ» (ج٥ ص٣٤)، والسُّيُوطِيُّ في «الدُّرِّ المَنْثورِ» (ج٧ ص٣٢٤).

=

الجَوْزِيِّ (ج٣ ص٤٢٨)، و«تَفْسِيرَ القُرآن» للسَّمْعَانِيِّ (ج٢ ص٣٠٤)، و«رُوحَ المَعَانِي» للآلوسِيِّ (ج١٠ ص٨٤)، و«جَامعَ البَيَان» للطَّبرِيِّ (ج١١ ص٤٢٤)، و«تَفسيرَ القُرآن» لابنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٦ ص١٧٨٧)، و«الكَشْفَ والبَيَانِ» للثَّعلبِيِّ (ج٥ ص٣٤).

(١) فـ «**عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ الخَالِقِ**» **هَذَا رَاهِبٌ مِنَ القُصَّاصِ**، ولَيْسَ بِعَالِمٍ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ، و«**أَتْباعهُ**» **كذَلِكَ مِنَ القُصّاصِ الرُّهْبَانِ**: الَّذِينَ يَعْبدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ جَهْلٍ بَالِغٍ في الدِّينِ، فاحْذَرُوهُمْ، ولا تُطِيعُوهُمْ، نعوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

وانظر: «بحرَ العُلُومِ» للسَّمرقَنْدِيِّ (ج٢ ص٥٤).

وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (الأَحْبَارُ: الْعُلَمَاءُ، وَالرُّهْبَانُ: الْعُبَّادُ).

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (١٠١٢) مِنْ طَرِيقِ عِمْرَانَ بنِ مُوسَىٰ الطُّرْسُوسِيِّ حَدَّثنا عَبْدُالصَّمدِ بنُ يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ الفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وذَكَرَهُ ابنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٣٥٠)، والشَّوْكَانِيُّ فِي «فَتْحِ القَدِيرِ» (ج٢ ص٣٥٥)، والسُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ المَنْثُورِ» (ج٧ ص٣٢٤).

قَالَ الإِمَامُ مُقَاتِلِ بنُ سُلَيْمانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص١٦٨): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ يَعْنِي: أَهْلَ مِلَّتِهِمْ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانَتْ لَهُمْ: مَأْكَلَةٌ كُلَّ عَامٍ مِنْ سَفِلَتِهِمْ[1] مِنَ الطَّعَامِ، والثِّمَارِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَوْ أَنَّهُم آمَنُوا بِمُحَمّدٍ ﷺ لَذَهَبَتْ تِلْكَ المَأْكَلَة).[2] اهـ

وقَالَ أَبُو السُّعُودِ المُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِرْشَادِ العَقْلِ السَّلِيمِ» (ج٤ ص٦٢): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ [التوبة: ٣٤]؛ شُروعٌ فِي بَيَانِ حَالِ: **الأَحْبَارِ، والرُّهْبانِ فِي إِغْوَائِهِمْ لأَرَاذِلِهِمْ**[3]: إثرَ بَيانِ سُوءِ **حَالِ الأَتْبَاعِ فِي اتِّخَاذِهِمْ لَهُمْ أَرْبَابًا يُطِيعُونَهُمْ فِي**

---

(١) يُقَالُ: سَفِلَةٌ مِنَ النَّاسِ: أَسَافِلُهُمْ، غَوْغَاؤُهُمْ، وَأَهْلُ انْحِطَاطٍ فِي الحَيَاةِ.

وانظر: «المِصْبَاحَ المُنِيرَ» للفَيُّوميِّ (ص١٤٦)، و«الرَّائدَ» لجُبْران (ص٤٥١).

(٢) سُبْحانَ اللهِ: مَا أَشْبَهَ اليَوْمَ بالأَمْسِ، فَلَوْ طَبَّقَ المُتَنَصِّبَةُ الإِسْلاَمَ الصَّحِيحَ، لَذَهَبَتْ عَلَيْهِمْ: الأَمْوَالُ، والمَأْكَلَةُ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

(٣) مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةِ بالبَارِحَةِ؛ فَقَدْ أَضَلَّ المُتَنَصِّبَةُ العَوَامَّ بفَتَاوَىٰ التَّقْلِيدِ، واللهُ المُسْتَعَانُ.

الأَوَامِرِ، والنَّوَاهِي، واتِّبَاعِهِمْ لَهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ، وَمَا يَذَرُونَ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾؛ يَأْخُذُونَهَا بطَرِيقِ الرِّشْوةِ **لتَغْيِيرِ الأَحْكَامِ، والشَّرَائِعِ، والتَّخْفِيفِ، والمُسَامَحَةِ فِيهَا**، وإِنَّمَا عُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ بالأَكْلِ بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّهُ **مُعْظَمُ الغَرَضِ منهُ، وتَقْبِيحًا لحَالِهِمْ، وتَنْفِيراً للسَّامِعِينَ عَنْهُمْ**: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾؛ النَّاسَ: ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ عَنْ دِينِ الإِسْلَامِ، أَوْ عَنِ المَسْلَكِ المُقَرَّرِ في التَّوْرَاةِ، والإِنْجِيلِ إِلَىٰ مَا افتَرَوْهُ، وحَرَّفُوهُ بأَخْذِ الرُّشَا، أَوْ يَصُدُّونَ عَنْهُ بأنفُسِهِمْ بِأَكْلِهِمْ الأَمْوَالَ بالبَاطِلِ). اهـ

وقَالَ العَلاَّمَةُ السِّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تَيْسِيرِ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ج٣ ص٢٢٦): (هَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، **عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ**، أَيْ: مِنَ العُلَمَاءِ[1]، والعُبّادِ[2]، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ، **أَيْ: بِغَيْرِ حَقٍّ، ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**.

فَإِنَّهُمْ: إِذَا كَانَتْ لَهُمْ رَوَاتِبُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، أَوْ بَذْلِ النَّاسِ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لأَجْلِ عِلْمِهِمْ وعِبَادَتِهِمْ، ولأَجْلِ هُدَاهُمْ، وهِدَايَتِهِمْ.

---

(١) عُلَمَاءُ السُّوءِ مِنْ أَهْلِ المَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الدُّوَلِ، أَوْ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ؛ إِمَّا مَنْ طَرِيقِ مَنَاصِبِهِمْ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ جَمْعِيَاتِهِمْ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢ - ٥٦].

(٢) العُبَّادُ مِنَ العَوَامِّ الجَهَلَةِ.

وانظر: «تَفْسِيرَ القُرْآنِ» لابنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٧٨ و٢٧٩).

وَهَؤُلاَءِ يَأْخُذُونَهَا، ويَصُدّونَ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، فيكُونُ أَخْذهُمْ لَهَا، عَلَىٰ هَذَا الوَجْهِ، سُحْتًا(١) **وظُلْمًا.**

فَإِنَّ النَّاسَ مَا بَذَلُوا لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا لِيَدلُّوهُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ.(٢)

وَمِنْ أَخْذِهِمْ لأَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَنْ يَعْطُوهُمْ ليْفتُوهُم أَوْ يَحْكُمُوا لَهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ.

* **فَهَؤلاَءِ الأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ**(٣)، لِيُحْذَرَ مِنْهُمْ هَاتَانِ الحَالَتَانِ: أَخْذُهُمْ لأَمْوَالِ النَّاسِ بغَيْرِ حَقٍّ، وصَدّهُمْ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ

وقَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٤ ص٢٧٨):** (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

---

(١) **السُّحْتُ**: الحَرَامُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وانظر: «مُخْتَارَ الصِّحاح» للرَّازيِّ (ص١٢١).

قَالَ الفَيُّوميُّ اللُّغوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «المِصْبَاحِ المُنِيرِ» (ص١٤٠):** (**السُّحْتُ**: هو كلُّ مالٍ حرام لا يحَلُّ كَسْبُهُ، وَلا أَكْلُهُ).

(٢) فَوُلاَةُ الأَمْرِ في الدَّوْلَةِ بَذَلُوا لَهُمْ الرَّواتِبَ مِنَ الأَمْوَالِ العَامَّةِ في الوَطَنِ؛ لِيُعَلِّمُوا المُسْلِمِينَ الدِّينَ الصَّحِيحِ، ويَدُلُّوهُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيم لِيَنْفَعُوا بِذَلِكَ وَطَنَهُمْ.

لَكِنَّهُمْ عَكَسُوا الأَمْرَ، فَعَلَّمُوا الشَّبَابَ المِسْكِينَ فِقْهَ الآرَاءِ والاخْتِلاَفِ، والأَفْكَارِ الدَّخِيلَةِ عَلَىٰ الإِسْلاَمِ، فَصَدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ المُسْتَقِيمِ.

لِذَلِكَ هَذِهِ الرَّوَاتِبُ لَمْ يَأْخُذُوهَا بِحَقٍّ في الدَّوْلَةِ، بَلْ هِيَ تُعْتَبَرُ مِنْ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ، وأَكْلِهِمْ السُّحْتَ، اللَّهُمَّ غُفْراً.

(٣) **قلتُ**: فاحْذَرُوا المُتَنَصِّبَةَ في المَنَاصِبِ الدِّينيّةِ.

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ **الْأَحْبَارُ**: مِنَ الْيَهُودِ، **وَالرُّهْبَانُ**: مِنَ النَّصَارَىٰ؛ **وَالرُّهْبَانُ**: عُبَّادُ النَّصَارَىٰ، وَالْقِسِّيسُونَ: عُلَمَاؤُهُمْ.

وَالْمَقْصُودُ: التَّحْذِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ، وَعُبَّادِ الضَّلَالِ؛ كَمَا: **قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ**(١): (مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَىٰ).(٢)

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: («لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ(٣)» قَالُوا: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَارِسٌ والرُّومُ، قَالَ: «فَمَنْ النَّاسُ إِلَّا هَؤُلَاءِ؟»).(٤)

---

(١) ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّمِ في «بدَائِعِ الفَوَائِدِ» (ج٢ ص٣٢)، وابنُ تَيْمِيَّةَ في «الفَتَاوَىٰ» (ج١ ص١٩٧)، وفي «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ» (ج١ ص٦٧)، والمُنَاوِيُّ في «فَيْضِ القَدِيرِ» (ج٥ ص٢٦١).

(٢) لأَنَّ النَّصَارَىٰ عَبَدُوا اللهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَاليَهُودَ عَرَفُوا الحَقَّ، وَعَدَلُوا عَنْهُ.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَضَلَّ عَلَىٰ عِلْمٍ، فَفِيهِ شَبَهٌ باليَهُودِ؛ لأَنَّهُمْ ضَلُّوا، وَأَضَلُّوا عَلَىٰ عِلْمٍ، فَغَضِبَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ.

وأَنَّ مَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَضَلَّ؛ فَفِيهِ شَبَهٌ بالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ عَبَدُوا اللهَ عَلَىٰ جَهْلٍ، فَضَلُّوا سَوَاءَ السَّبِيلِ.

وانظر: «فَتْحَ المَجِيدِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ الشَّيْخِ (ج١ ص٤٤٣)، و«المُلَخَّصَ في شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الفَوْزَانَ (ص١٩٣).

(٣) **القُذَّة**: رِيشُ السَّهْمِ واحِدتُها قُذَّةٌ، **ومَعْنَىٰ**: حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ؛ أَيْ: كَمَا تقدَّر كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ قَدْرِ صَاحِبَتِهَا وتُقطَع، يُضْرَبُ مَثَلاً للشَّيْئَيْنِ يَسْتَوِيَانِ، ولاَ يَتَفَاوَتَانِ.

انظر: «النِّهايةَ» لابنِ الأَثِيرِ (ج٤ ص٢٨).

(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (٣٤٥٦)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (٢٦٦٩)؛ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

وَالْحَاصِلُ: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّشَبُّهِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ، وأَحْوَالِهِمْ؛ ولهَذَا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ وذَلِكَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بالدِّينِ، وفِي مَنَاصِبِهِمْ، وَرِيَاسَتِهِمْ فِي النَّاسِ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ بِذَلِكَ؛ **كَمَا كَانَ لِأَحْبَارِ الْيَهُودِ عَلَىٰ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَرَفٌ، وَلَهُمْ عِنْدُهُمْ خَرْجٌ وَهَدَايَا**، وَضَرَائِبُ تَجِيءُ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ اسْتَمَرُّوا عَلَىٰ ضَلَالِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، وَعِنَادِهِمْ طَمَعًا مِنْهُمْ **أَنْ تَبْقَىٰ لَهُمْ تِلْكَ الرِّيَاسَاتُ**؛ فَأَطْفَأَهَا اللهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ، وسَلَبَهُمْ إِيَّاهَا وَعَوَّضَهُمْ الذُّلَّ والصَّغَارَ، وبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ أَيْ: وَهُمْ مَعَ أَكْلِهِمُ الحَرَامَ: يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ، ويَلْبِّسُونَ الحَقَّ بالبَاطِلِ، ويُظْهِرُونَ لِمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الجَهَلَةِ؛ أَنَّهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الخَيْرِ، ولَيْسُوا كَمَا يَزْعُمُونَ، بَلْ هُمْ: دَعَاةٌ إِلَىٰ النَّارِ، يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ). اهـ

قلتُ: فَهَذَا القِسْمُ مِنَ النَّاسِ[1] عَالَةٌ عَلَىٰ البُلْدَانِ الإِسْلاَمِيَّةِ، فَإِذَا فَسَدُوا، فَسَدَتْ أَحْوَالِ النَّاسِ فِي البُلْدَانِ.

---

(١) وَهُمْ: «**فِرْقَةُ المُتَنَصِّبَةِ**»، و«**فِرْقَةُ المُتَرْهْبِنَةِ**»، فَهُمْ: يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بالدِّينِ، فِي مَنَاصِبِهِمْ، ورِيَاسَتِهِمْ فِي النَّاسِ: يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي البُلْدَانِ بِوَاسِطَةِ: «**المَنَاصِبِ الدِّينيَّةِ**»، و«**الإِفْتَاءِ فِي الأَحْكَامِ**»، و«**الخُطَبِ المِنْبَرِيَّةِ**»، و«**التَّجْمِيعَاتِ التَّبَرُّعِيَّةِ**»، و«**الجَمْعِيَّاتِ الخَيْرِيَّةِ**»، و«**المُسَابَقَاتِ القُرْآنِيَّةِ**»، وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْلِبُ لَهُمْ الأَمْوَالَ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوا السُّنَّةَ، وتَمَسَّكُوا بِهَا حَقّ التَّمسُّكِ، وأَظْهَرُوهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَقَمَعُوا البِدْعَةَ وأَهْلَهَا، لـذَهَبَتْ عَلَيهِم تِلْكَ المَنَاصِبِ، وَزَالَتْ عَنْهُم المَآكِلُ، والأَمْوَالُ فِي البُلْدَانِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

هَكَذَا يُفَكِّرُونَ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلانِ.

=

وَهَلْ أَفْسَدَ دِينَ النَّاسِ، إِلاَّ عُلَمَاءُ السُّوءِ، وَرُهْبَانُ الجَهْلِ.

قَالَ العَلاَّمَةُ القَاسِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَحَاسِنِ التَّأْوِيلِ» (ج٨ ص١٩٢): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ أي: بالطَّرِيقِ المُنْكَرِ مِنَ الرُّشَا فِي الأَحْكَامِ، والتَّخْفِيفِ، والمُسَامَحَةِ فِي الشَّرَائِعِ، وغَيْرِ ذَلِكَ. وَ(الأَكْلُ)؛ مَجَازٌ عَنِ الأَخْذِ، بعِلاَقَةِ العَلّيةِ والمَعْلولِيَّة: لأَنَّهُ الغَرَضُ الأَعْظَمُ مِنْهُ، وَفِيهِ مِنَ التَّقْبِيحِ لحَالِهِمْ، وتَنْفِيرِ السَّامِعِينَ عَنْهُ مَا لاَ يُخْفَىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ أي: عَنْ دِينِ الإِسْلاَمِ وحُكْمِهِ، واتِّبَاعِ الدَّلاَئِلِ، إِلَىٰ مَا يَهوُونَ، أَوْ عَنِ المَسْلَكِ المُقَرَّرِ فِي التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ، إِلَىٰ مَا افْتَرَوْهُ وَحَرَّفُوهُ). اهـ

قلتُ: هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ هُوَ: إِيثَارُهُمْ حَبَّ المَالِ، وكَنْزُهُ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]؛ فَنَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ: أَكْلُ أَمْوَالِ المُسْلِمِينَ بالحَرَامِ.

=

وانظر: «تَفْسِيرَ القُرْآنِ» لابنِ كَثِيرٍ (ج٥ ص٢٧٨)، و«مَحَاسِنَ التَّأْوِيلَ» للقَاسِمِيِّ (ج٨ ص١٩٢)، و«أَنْوَارَ التَّنْزِيلِ» للبَيْضَاوِيِّ (ج١ ص٤٠٣)، و«التَّفْسِيرَ الكَبِيرَ» للرَّازِيِّ (ج١٥ ص٣٤ و٣٥)، و«زَادَ المَسِيرِ» لابنِ الجَوْزِيِّ (ج٣ ص٤٢٨)، و«تَفْسِيرَ القُرْآنِ» للسَّمْعَانِيِّ (ج٢ ص٣٠٤)، و«الوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ المَجِيدِ» للوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٤٩٢).

قَالَ فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «التَّفْسِيرِ الكَبِيرِ»** (ج٥ ص٣٤): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا **وَصَفَ رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ**: بِالتَّكَبُّرِ، وَالتَّجَبُّرِ، وَادِّعَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالتَّرَفُّعِ عَلَىٰ الْخَلْقِ، **وَصَفَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ**: بِالطَّمَعِ، **وَالْحِرْصِ عَلَىٰ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ**، تَنْبِيهًا عَلَىٰ: **أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ إِظْهَارِ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالتَّجَبُّرِ، وَالْفَخْرِ، أَخْذُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**، وَلَعَمْرِي مَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ أَهْلِ النَّامُوسِ، وَالتَّزْوِيرِ فِي زَمَانِنَا **وَجَدَ هَذِهِ الْآيَاتِ كَأَنَّهَا مَا أُنْزِلَتْ إِلَّا فِي شَأْنِهِمْ، وَفِي شَرْحِ أَحْوَالِهِمْ**، فَتَرَىٰ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَدَّعِي **أَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ الدُّنْيَا**، وَلَا يَتَعَلَّقُ خَاطِرُهُ بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ فِي الطَّهَارَةِ، وَالْعِصْمَةِ مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ حَتَّىٰ إِذَا آلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ الرَّغِيفِ الْوَاحِدِ تَرَاهُ يَتَهَالَكُ عَلَيْهِ، وَيَتَحَمَّلُ نِهَايَةَ الذُّلِّ وَالدَّنَاءَةِ فِي تَحْصِيلِهِ. **وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ**:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ: قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ **الْأَحْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالرُّهْبَانَ مِنَ النَّصَارَىٰ** بِحَسَبِ الْعُرْفِ، فالله تَعَالَىٰ حَكَىٰ عَنْ **كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَفِيهِ أَبْحَاثٌ**:

الْبَحْثُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَيَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَثِيرًا﴾ لِيَدُلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ طَرِيقَةُ بَعْضِهِمْ لَا طَرِيقَةُ الْكُلِّ، فَإِنَّ الْعَالَمَ لَا يَخْلُو عَنِ الْحَقِّ، وَإِطْبَاقُ الْكُلِّ عَلَىٰ الْبَاطِلِ؛ كَالْمُمْتَنِعِ هَذَا يُوهِمُ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ إِجْمَاعَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ الْبَاطِلِ لَا يَحْصُلُ، فَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأُمَمِ.

الْبَحْثُ الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَىٰ عَبَّرَ عَنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ بِالْأَكْلِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَيَأْكُلُونَ﴾ وَالسَّبَبُ فِي هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ، **أَنَّ الْمَقْصُودَ الْأَعْظَمَ مِنْ جَمْعِ الْأَمْوَالِ هُوَ الْأَكْلُ**، فَسُمِّيَ الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مَقَاصِدِهِ، أَوْ يُقَالُ مَنْ أَكَلَ شَيْئًا فَقَدْ ضَمِنَهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنَعَهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، **وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ فَقَدْ ضَمَّ تِلْكَ الْأَمْوَالَ إِلَىٰ نَفْسِهِ**[1]، وَمَنَعَهَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَلَمَّا حَصَلَتِ الْمُشَابَهَةُ بَيْنَ الْأَكْلِ، وَبَيْنَ الْأَخْذِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، سُمِّيَ الْأَخْذُ بِالْأَكْلِ، **أَوْ يُقَالُ**: إِنَّ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ، فَإِذَا طُولِبَ بِرَدِّهَا، قَالَ أَكَلْتُهَا وَمَا بَقِيَتْ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّهَا، فَلِهَذَا السَّبَبِ سُمِّيَ الْأَخْذُ بِالْأَكْلِ.

الْبَحْثُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ﴾؛ وَقَدِ اخْتَلَفُوا: **فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْبَاطِلِ عَلَىٰ وُجُوهٍ**:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الرُّشَا فِي تَخْفِيفِ الْأَحْكَامِ، وَالْمُسَامَحَةِ فِي الشَّرَائِعِ، **وَالثَّانِي**: أَنَّهُمْ كَانُوا يَدَّعُونَ عِنْدَ الْحَشَرَاتِ وَالْعَوَامِّ مِنْهُمْ: أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَىٰ الْفَوْزِ بِمَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ إِلَّا بِخِدْمَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِمْ، وَالْعَوَامُّ: كَانُوا يَغْتَرُّونَ بِتِلْكَ الْأَكَاذِيبِ، **الثَّالِثُ**: التَّوْرَاةُ كَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَىٰ آيَاتٍ دَالَّةٍ عَلَىٰ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ، **فَأُولَئِكَ الْأَحْبَارُ وَالرُّهْبَانُ**، كَانُوا يَذْكُرُونَ فِي تَأْوِيلِهَا

---

(١) **قلتُ**: و«**فِرْقَةُ الْمُتَنَصِّبَةِ**» فِي الدُّنْيَا، حِسَابَاتُهُمْ فِي الْبُنُوكِ مُمْتَلِئَةٌ مِنَ الأَمْوَالِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَشْتَهِرْ أَحَدُهُمْ فِي الإِنْفَاقِ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ الأَصْنَافِ، **وَلَمْ يُنْفِقُوا عَلَىٰ دَعْوَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَعَلَىٰ طَلَبَةِ السُّنَّةِ** فِي البُلْدَانِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ ضَمُّوا الأَمْوالَ لأَنْفُسِهِمْ، وأَتْبَاعِهِمْ، اللَّهُمَّ غُفْراً.

* وَلَقَدِ اشْتَهَرَ الشَّيْخُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ بالإِنْفَاقِ، والشَّيْخُ ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ بالإِنْفَاقِ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]؛ مِنْ مُعْتَبِرٍ.

وُجُوهًا فَاسِدَةً، وَيَحْمِلُونَهَا عَلَىٰ مُحَامِلَ بَاطِلَةٍ، **وَكَانُوا يُطَيِّبُونَ قُلُوبَ عَوَامِّهِمْ بِهَذَا السَّبَبِ، وَيَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، وَالرَّابِعُ**: أَنَّهُمْ كَانُوا يُقَرِّرُونَ عِنْدَ عَوَامِّهِمْ أَنَّ الدِّينَ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ فَإِذَا قَرَّرُوا ذَلِكَ قَالُوا وَتَقْوِيَةُ الدِّينِ الْحَقِّ وَاجِبٌ **ثُمَّ قَالُوا**: وَلَا طَرِيقَ إِلَىٰ تَقْوِيَتِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ أُولَئِكَ الْفُقَهَاءُ أَقْوَامًا عُظَمَاءَ أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، وَالْجَمْعِ الْعَظِيمِ، **فَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَحْمِلُونَ الْعَوَامَّ عَلَىٰ أَنْ يَبْذُلُوا فِي خِدْمَتِهِمْ نُفُوسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**، فَهَذَا هُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي كَانُوا بِهِ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ، **وَهِيَ بِأَسْرِهَا حَاضِرَةٌ فِي زَمَانِنَا، وَهُوَ الطَّرِيقُ لِأَكْثَرِ الْجُهَّالِ وَالْمُزَوِّرِينَ**[1] **إِلَىٰ أَخْذِ أَمْوَالِ الْعَوَامِّ وَالْحَمْقَىٰ مِنَ الْخَلْقِ.**

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ **لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ عَلَىٰ مُتَابَعَتِهِمْ، وَيَمْنَعُونَ عَنْ مُتَابَعَةِ الْأَخْيَارِ مِنَ الْخَلْقِ، وَالْعُلَمَاءِ فِي الزَّمَانِ، وَفِي زَمَانِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانُوا يُبَالِغُونَ فِي الْمَنْعِ عَنْ مُتَابَعَتِهِ بِجَمِيعِ وُجُوهِ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ.**[2]

---

(١) **وَهُمْ**: الحِزْبِيُّونَ بَجَمِيعِ أَنْوَاعِهِمْ فِي البُلْدَانِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

مِثْلُ: «الإِخْوَانِيَّةِ»، و«السُّرُورِيَّةِ»، و«الدَّاعِشِيَّةِ»، و«القُطْبِيَّةِ»، و«الصُّوفِيَّةِ»، و«الأَشْعَرِيَّةِ»، و«الرَّبِيعِيَّةِ»، و«التَّبْلِيغِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.

قلتُ: وَهُمْ لاَبُدَّ أَنْ يَصُدُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، وإِلاَّ كَيْفَ يَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ بالبَاطِلِ، لاَبُدَّ بِذَلِكَ الصَّدِّ، والعِيَاذُ باللهِ.

(٢) وَمَا أَشْبَهَ اليَوْمَ بالأَمْسِ، فَإِنَّ: «**فِرْقَةِ المُتَنَصِّبَةِ**» يَمْنَعُونَ أَتْبَاعَهُمْ عَنْ مُتَابَعَةِ أَهْلِ الأَثَرِ فِي البُلْدَانِ، اللَّهُمَّ سَدِّد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ ﷺ: غَايَةُ مَطْلُوبِ الْخَلْقِ فِي **الدُّنْيَا الْمَالُ وَالْجَاهُ**، فَبَيَّنَ تَعَالَىٰ فِي صِفَةِ **الْأَحْبَارِ، وَالرُّهْبَانِ: كَوْنَهُمْ مَشْغُوفِينَ بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ**، فَالْمَالُ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ﴾؛ **وَأَمَّا الْجَاهُ**: فَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ فَإِنَّهُمْ لَوْ أَقَرُّوا بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَلَىٰ الْحَقِّ لَزِمَهُمْ مُتَابَعَتُهُ، وَحِينَئِذٍ فَكَانَ يَبْطُلُ حُكْمُهُمْ، وَتَزُولُ حُرْمَتُهُمْ؛ **فَلِأَجْلِ الْخَوْفِ مِنْ هَذَا الْمَحْذُورِ كَانُوا يُبَالِغُونَ فِي الْمَنْعِ مِنْ مُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ** ﷺ، **وَيُبَالِغُونَ فِي إِلْقَاءِ الشُّبُهَاتِ، وَفِي اسْتِخْرَاجِ وُجُوهِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ**[1]، وَفِي مَنْعِ الْخَلْقِ مِنْ قَبُولِ دِينِهِ الْحَقِّ، وَالِاتِّبَاعِ لِمَنْهَجِهِ الصَّحِيحِ). اهـ

وَقَالَ الإِمَامُ البَيْضَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ»** (ج١ ص٤٠٣): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ يَأْخُذُونَهَا: بالرُّشَا فِي الأَحْكَامِ سُمِّيَ أَخْذَ المَالِ: أَكْلاً؛ لأَنَّهُ الغَرَضُ الأَعْظَمُ مِنْهُ[2]، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ: عَنْ دِينِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الكَثِيرُ مِنَ الأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ: فَيُكُونُ مُبَالَغَةٌ فِي وَصْفِهِمْ بالحِرْصِ عَلَىٰ المَالِ). اهـ

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو المُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ»** (ج٢ ص٣٠٤): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ

---

(١) وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبَارِحَةِ!.

(٢) **قلتُ**: والمُرَادُ: أَخْذُ الأَمْوَالِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللهُ الأَكْلَ لأَنَّهُ مُعْظَمُ المَقْصُودِ مِنَ المَالِ.

انظر: «زَادَ المَسِيرِ» لابنِ الجَوْزِيِّ (ج٣ ص٣٤).

بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: إِنَّ المُرَادَ مِنْهُ أَخْذُ الرُّشَاءِ فِي الْأَحْكَامِ، والمَآكِلِ الَّتِي كَانَتْ لِعُلَمَائِهِمْ عَلَىٰ سَفِلَتِهِمْ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ). اهـ

وَقَالَ الإِمَامُ ابنُ أَبِي زَمَنِينَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٢٠٣): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ يَعْنِي: مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الرُّشَا فِي الْحُكْمِ، وَعَلَىٰ مَا حَرَّفُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ تعالىٰ). اهـ

وَقَالَ الإِمَامُ الوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الوَسِيطِ» (ج٢ ص٤٩١): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ يَعْنِي: مَا كَانُوا يَأْخُذُونَهُ مِنَ الرُّشَىٰ فِي الحُكْمِ، وَمَا كَانُوا يُصِيبُونَهُ مِنَ المَأْكَلِ مِنْ سَفِلَتِهِم، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾؛ وَيَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنْ الإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ). اهـ

٩) وعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ، وَرَسُولِهِ؛ بِغَيْرِ حَقٍّ، لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ)

أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٣١١٨)، وَفِي «التَّارِيخِ الكَبِيرِ» (ج٥ ص١٤٥٠)، وَأَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» (ج٦ ص٤١٠)، والطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيرِ» (٥٧٧)، و(٥٧٨)، و(٦١٧)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيْمَانِ» (١٠٣٠٣)، وَابنُ حَجَرٍ

فِي «الأَمَالِيِّ المُطْلَقَةِ» (ص١٧٩)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٧٥٩٨)، وَأَبُو القَاسِمِ الأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (١١١٦)، وَالقَسْطَلَانِيُّ فِي «إِرْشَادِ السَّارِي» (ج٧ ص٣٤)، وَابنُ أَبِي صُفْرَةَ فِي «المُخْتَصَرِ النَّصِيحِ» (ج٢ ص٣٥٧)، وَعَبْدُ بنُ حُمَيدٍ فِي «المُنْتَخَبِ مِنَ المُسْنِدِ» (١٥٨٧)، وَابنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الآحَادِ وَالمَثَانِي» (٣٢٧٢)، وَفِي «الزُّهْدِ» (١٥٣)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «مُشْكِلِ الآثَارِ» (٤٨٩٢)، و(٤٨٩٣)، وَالفَاكِهِيُّ فِي «الفَوَائِدِ» (٢٦٠)، وَابنُ الجَوْزِيِّ فِي «جَامِعِ المَسَانِيدِ» (ج٨ ص٦٠)، وَالمِزِّيُّ فِي «تَهْذِيبِ الكَمَالِ» (ج٣٥ ص١٦٥)، وَالبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (٢٧٣٠)، وَفِي «مَصَابِيحِ السُّنَّةِ» (ج٣ ص٩٩)، وَابنُ الأَثِيرِ فِي «أُسْدِ الغَابَةِ» (ج٧ ص٩١) مِنْ طَرِيقِ حَيْوَةَ بنِ شُرَيحٍ، وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ نَوْفَلٍ أَنَّهُ سَمِعَ النُعْمَانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ خَوْلَةَ بِنْتَ قَيْسٍ(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِهِ.

وَقَالَ ابنُ حَجَرٍ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنِدِ» (ج٦ ص٤٠٩)، وَعَبْدُ بنُ حُمَيدٍ فِي «المُنْتَخَبِ مِنَ المُسْنِدِ» (١٥٨٨)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «مُشْكِلِ الآثَارِ» (٤٨٩٠)، و(٤٨٩١)، وَالقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (١١٤٣)، وَعَبْدُالرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (٦٩٦٢)،

---

(١) وَخَوْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ، هِيَ: خَوْلَةُ بِنْتُ ثَامِرٍ الأَنْصَارِيَّةُ، وَثَامِرٌ: لَقَبٌ لِقَيْسِ بنِ قَهْدٍ، وَكَانَتْ تَحْتَ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ.

وَانْظُرْ: «الإِصَابَةَ» لِابنِ حَجَرٍ (ج٨ ص١١٣ و١١٩)، وَ«تُحْفَةَ الأَشْرَافِ» لِلمِزِّيِّ (ج١١ ص٣٠٠)، وَ«جَامِعَ المَسَانِيدِ» لِابنِ الجَوْزِيِّ (ج٨ ص٦٠).

وَالبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الكَبِيرِ» (ج٥ ص٤٥٠)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيرِ» (٥٨٠)، و(٥٨١)، و(٥٨٢)، و(٥٨٣)، وَفِي «المُعْجَمِ الأَوْسَطِ» (٥٣١٨)، وَابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (ج١٣ ص٢٤٢)، وَالحُمَيدِيُّ فِي «المُسْنَدِ» (٣٥٣)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ» (ج٧ ص٣١١)، وَفِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٧٥٨٤)، وَابنُ الأَعْرَابِيِّ فِي «الزُّهْدِ» (٩٦)، و(٩٧)، وَابنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الآحَادِ وَالمَثَانِي» (٣٢٦٠)، و(٣٢٦١)، و(٣٢٦٢)، وَابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٤٥١٢) مِنْ طُرُقٍ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ[1]، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ سَنُوطَا يُحَدِّثُ **عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **امْرَأَةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولَ اللهِ** ﷺ: **(إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، بُورِكَ لَهُ فِيهَا، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ[2] فِي مَالِ اللهِ، وَمَالِ رَسُولِهِ، لَهُ النَّارُ يَوْمَ يَلْقَىٰ اللهَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ، وَرَسُولِهِ، لَهُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَإِنَّهُ يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ).**

---

(١) جَاءَ فِي «أَطْرَافِ المُسْنَدِ» لِابنِ حَجَرٍ (ج٨ ص٤١٤)؛ عُمَرُ بنُ سَعِيدِ بنِ كَثِيرِ بنِ أَفْلَحٍ، بِزِيَادَةِ: «ابنِ سَعِيدٍ»، وَهُوَ خَطأٌ.

صَوَابُهُ: عُمَرُ بنُ كَثِيرِ بنِ أَفْلَحَ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ.

(٢) **قَوْلُهُ** ﷺ: (**مَتَخَوِّضٌ**)؛ أَيْ: دَاخِلٌ فِيهِ، مُتَصَرِّفٌ فِيهِ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِهِ، وَهُوَ مُتَخَوِّضٌ فِي المَالِ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ فِي حَقٍّ، أَوْ بَاطِلٍ، فَهَذَا لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ إِلَّا النَّارُ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ.

انْظُرْ: «حَاشِيَةَ السِّنْدِيِّ عَلَىٰ مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» (ج٥ ص٦٠٤)، وَ«فَتْحَ البَارِي» لِابنِ حَجَرٍ (ج٦ ص٢١٩)، وَ«إِرْشَادَ السَّارِي» لِلقَسْطَلَانِيِّ (ج٧ ص٣٤).

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَذَكَرَهُ ابنُ حَجَرٍ فِي «فَتْحِ البَارِي» (ج٦ ص٢١٩).

قَوْلُهُ ﷺ: (إِنَّ رِجَالًا)؛ إِنَّ رِجَالاً، رِجَالٌ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الإِثْبَاتِ.

وَالنَّكِرَةُ فِي سِيَاقِ الإِثْبَاتِ، لَا تَدُلُّ عَلَىٰ العُمُومِ، وَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ.

وَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مِنَ الرِّجَالِ، إِنَّ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ.[1]

فَيَكُونُ المَعْنَىٰ: يَتَصَرَّفُونَ فِي أَمْوَالِ المُسْلِمِينَ بِالبَاطِلِ.[2]

*** وَالتَّخَوُّضُ فِي المَالِ، إِمَّا يَكُونُ سَابِقًا، أَوْ لَاحِقًا:**

أَمَّا التَّخَوُّضُ السَّابِقُ، مَعْنَاهُ: أَنْ يَكْتَسِبَ المَالَ مِنْ أَيِّ: وَجْهٍ كَانَ مِنْ حَلَالٍ، أَمْ حَرَامٍ؛ يَعْنِي: لَا يُبَالِي يَكْسِبُ المَالَ مِنْ حَلَالٍ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ.

وَأَمَّا التَّخَوُّضُ اللَّاحِقُ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ اكْتِسَابِ المَالَ؛ بِأَنَّ لَا يُحْسِنَ التَّصَرُّفَ فِيهِ، بَلْ يُضَيِّعُهُ، وَيُسْرِفُ فِيهِ، وَيَتَصَرَّفُ مِنْهُ تَصَرُّفَاتٍ مُحَرَّمَةٍ، لَا تُرْضِي اللهَ تَعَالَىٰ.

*** وَفِي هَذَا الحَدِيثِ**: وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِلَّذِينَ يَتَصَرَّفُونَ فِي الأَمْوَالِ، وَفِي كَسْبِهَا مِنْ غَيْرِ الطُّرُقِ المَشْرُوعَةِ، أَوْ بِإِنْفَاقِهَا فِي غَيْرِ سُبُلِ الخَيْرَاتِ.

---

(١) وَأُضِيفَ المَالُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ لِهَذَا المَالِ، فَالمَالُ، مَالُ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النُّورُ: ٣٣]؛ يَعْنِي: الأَمْوَالَ الشَّرْعِيَّةَ العَامَّةَ، مِنْ زَكَاةٍ، وَغَيْرِهَا.

(٢) وَهَذَا الفِعْلُ مِنَ الكَبَائِرِ، لِأَنَّهُ قَدْ تُوُعِّدَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ.

قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتْحِ البَارِي» (ج٦ ص٢١٩): (قَوْلُهُ ﷺ: «مِنْ مَالِ اللهِ»؛ مُظْهَرٌ أُقِيمَ: مَقَامَ الْمُضْمَرِ؛ إِشْعَارًا، بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي التَّخَوُّضُ فِي مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَسُولِهِ ﷺ، وَالتَّصَرُّفُ فِيهِ بِمُجَرَّدِ التَّشَهِّي[1]).اهـ

وَقَالَ الحَافِظُ القَسْطَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِرْشَادِ السَّارِي» (ج٧ ص٣٤): (قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ**»؛ بِالخَاءِ، وَالضَّادِ: الْمُعْجَمَتَيْنِ، مِنَ الخَوْضِ: وَهُوَ المَشْيُ فِي المَاءِ، وَتَحْرِيكُهُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي التَّصَرُّفِ فِي الشَّيْءِ؛ أَيْ: يَتَصَرَّفُونَ فِي مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ، الَّذِي جَعَلَهُ لِمَصَالِحِ المُسْلِمِينَ بِغَيْرِ: قِسْمَةِ[2] حَقٍّ، بَلْ بِالبَاطِلِ). اهـ

وَقَالَ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» (ج٢ ص٥٣٨): (قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا نَقَلَهُ؛ عَنْ خَوْلَةَ: زَوْجَةِ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ،

---

(١) **قُلْتُ**: وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ الحِزْبِيُّونَ فِي جَمْعِيَّاتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي التَّبَرُّعَاتِ بِالتَّشَهِّي، كَيْفَ شَاءُوا فِي حَقٍّ، أَوْ بَاطِلٍ: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [النَّجْمُ: ٢٢]؛ يَعْنِي: جَائِرَةً.

فَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ: وَهُوَ حُكْمٌ مُرَتَّبٌ عَلَىٰ الوَصْفِ المُنَاسِبِ، وَهُوَ الخَوْضُ فِي مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَبِغَيْرِ فَهْمٍ لِأَحْكَامِهِ فِي الدِّينِ.

انْظُرْ: «فَتْحَ البَارِي» لِابنِ حَجَرٍ (ج٦ ص٢١٩)، وَ«إِرْشَادَ السَّارِي» لِلقَسْطَلَانِيِّ (ج٧ ص٣٤).

(٢) **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [النَّجْمُ: ٢٢].

ضِيزَىٰ: يَعْنِي؛ قِسْمَةً ظَالِمَةً، وَالضِّيزَىٰ عِنْدَ العَرَبِ: أَصْلُهَا؛ المُخَالَفَةُ.

انْظُرْ: «جَامِعَ البَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٢٢ ص٥٣ و٥٤).

فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ هَذَا أَيْضًا مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ فِي الأَمْوَالِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ العَدْلِ.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «يَتَخَوَّضُونَ»؛ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُمْ: **يَتَصَرَّفُونَ تَصَرُّفًا طَائِشًا غَيْرَ مَبْنِيٍّ عَلَىٰ أُصُولٍ شَرْعِيَّةٍ، فَيُفْسِدُونَ الأَمْوَالَ بِبَذْلِهَا فِيمَا يَضُرُّ**، مِثْلُ: مَنْ يَبْذُلُ أَمْوَالَهُ فِي الدُّخَّانِ، أَوْ فِي المُخَدِّرَاتِ، أَوْ فِي شُرْبِ الخُمُورِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا **يَتَخَوَّضُونَ فِيهَا بِالسَّرِقَاتِ، وَالغَصْبِ**، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ **يَتَخَوَّضُونَ فِيهَا بِالدَّعَاوَىٰ البَاطِلَةِ**[1]، كَأَنْ يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

* فَالمُهِمُّ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا غَيْرَ شَرْعِيٍّ فِي المَالِ- سَوَاءٌ مَالُهُ أَوْ مَالُ غَيْرِهِ- فَإِنَّ لَهُ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ، فَيَرُدَّ المَظَالِمَ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَيَتُوبَ مِمَّا يَبْذُلُ مَالَهُ فِيهِ مِنَ الحَرَامِ؛ كَالدُّخَّانِ، وَالخَمْرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مِمَّنْ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٣-٥٦]). اهـ

---

(١) **مِثْلُ**: الدَّعَواتِ البَاطِلَةِ، وَهِيَ التَّابِعَةُ لِلجَمَاعَاتِ الحِزْبِيَّةِ فِي البُلْدَانِ.

قُلْتُ: فَمَنْ أَخَذَ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ، أَوْ المَقَاسِمِ، أَوْ غَيْرِهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقٍّ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ تَخَوَّضَ فِي مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْتِي بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ.(١)

قَالَ الحَافِظُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عُمْدَةِ القَارِي» (ج١٢ ص١٧٩) عَنِ الخَوْضِ فِي المَالِ: (هُوَ التَّخْلِيطُ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ كَيْفَ أَمْكَنَ). اهـ

وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتْحِ البَارِي» (ج٦ ص٢١٩): (قَوْلُهُ ﷺ: «**يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ**»؛ أَيْ: يَتَصَرَّفُونَ فِي مَالِ المُسْلِمِينَ بِالبَاطِلِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِالقِسْمَةِ، وَبِغَيْرِهَا). اهـ

قُلْتُ: وَفِي ذَلِكَ رَدْعٌ لِلمُتَحَزِّبَةِ: أَنْ يَأْخُذُوا مِنَ المَالِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، أَوْ يَمْنَعُوهُ مِنْ أَهْلِهِ.

قُلْتُ: فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أُنَاسٍ يَتَصَرَّفُونَ فِي أَمْوَالِ المُسْلِمِينَ بِالبَاطِلِ، وَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ.(٢)

فَالَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَىٰ جَمْعِ الزَّكَاةِ، وَالصَّدَقَاتِ، وَجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ، وَأَمْوَالِ الوَقْفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ(٣)، وَيَتَخَوَّضُونَ فِيهَا بِالبَاطِلِ، فَإِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ تَحْتَ هَذَا الحَدِيثِ(٤).

---

(١) وَهَذَا فِيهِ رَدْعٌ لِلمُتَحَزِّبَةِ، وَالمُتَنَصِّبَةِ؛ بِجَمْيعِ أَنْوَاعِهِمْ، الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَيَدْفَعُونَ هَذَا المَالَ لِنَشْرِ دَعَوَاتِهِمُ البَاطِلَةِ، وَأَفْكَارِهِمُ الفَاسِدَةِ، بَلْ وَيَدْفَعُوهُ لِأَتْبَاعِهِمْ فِي البُلْدَانِ لِتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ، وَيَمْنَعُوهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي البُلْدَانِ، الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا المَالَ، اللَّهُمَّ غُفْراً.

(٢) وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: أَكْلُ أَمْوَالِ اليَتَامَىٰ، وَالوَقْفِ، وَالتَّبَرُّعَاتِ، وَجَحْدِ الأَمَانَاتِ، وَالأَخْذِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَالأَمْوَالِ العَامَّةِ.

(٣) وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الأَمْوَالَ، هِيَ: أَخَصُّ أَمْوَالِ اللهِ تَعَالَىٰ.

(٤) وَانْظُرْ: «فَتْحَ البَارِي» لِابنِ حَجَرٍ (ج٦ ص٢١٩)، وَ«شَرْحَ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» لِشَيْخِنَا ابنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص٥٣٨)، وَ«إِرْشَادَ السَّارِي» لِلقَسْطَلَانِيِّ (ج٧ ص٣٤)، وَ«عُمْدَةَ القَارِي» لِلعَيْنِيِّ (ج١٢ ص١٧٩).

فَالَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَىٰ هَذِهِ الأَمْوَالِ مِنْ قِبَلِ الجَمْعِيَّاتِ، وَالأَفْرَادِ، الَّذِينَ يَتَوَلَّونَ هَذِهِ الأَمْوَالَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَخُوضُونَ فِيْهَا بِغَيرِ عِلْمٍ، وَبِغَيْرِ فَهْمٍ لِمَصَارِيفِهَا الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحَةِ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأَنْعَامُ: ٩١].

قُلْتُ: فَهَؤُلَاءِ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، فَيَرُدُّوا المَظَالِمَ إِلَىٰ أَهْلِهَا.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (**فَلَهُمْ**)؛ يَدُلُّ عَلَىٰ سُرْعَةِ العَذَابِ، وَقُرْبِهِ الشَّدِيدِ مِمَّنْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ.(٢)

* **وَفِي الحَدِيثِ**: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّحَايُلِ لِكَسْبِ الأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ إِنْفَاقِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا.

* **وَفِي الحَدِيثِ**: بَيَانُ أَنَّ الأَمْوَالَ العَامَّةَ لَيْسَتْ مَرْتَعًا لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ سَيُحَاسَبُ عَلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ.

---

(١) حَتَّىٰ أَنَّهُمْ يَقْتَطِعُونَ نِسْبَةً؛ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ مَالِ المَشَارِيعِ: بِحُجَّةِ قِيَامِهِمْ بِتَنْفِيذِ هَذِهِ المِشَارِيعِ.

وَهَذَا الاقْتِطَاعُ: لَا يَحِلُّ لَهُمْ، بَلْ هُوَ مِنَ السُّحْتِ، وَهُوَ أَشَدُّ حُرْمَةً مِنَ المُكُوسِ، وَالغُلُولِ، وَالسَّرِقَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ: يَفْعَلُهُ مَنْ يَفْعَلُهُ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ حُرْمَتَهُ.

وَأَمَّا هَذَا المَالُ: يَفْعَلُهُ مَنْ يَفْعَلُهُ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مُبَاحٌ لَهُ، وَالمَالُ أَنَّهُ حَرَامٌ، وَأَشَدُّ حُرْمَةً.

(٢) وَانْظُرْ: «شَرْحَ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» لِشَيْخِنَا ابنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص٥٣٨ و٥٣٩)، وَ«مِنْحَةَ المَلِكِ الجَلِيلِ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ» لِلرَّاجِحِيِّ (ج٦ ص٤٤٣)، وَ«شَرْحَ صَحِيحِ البُخَارِيِّ» لِابنِ بَطَّالٍ (ج٥ ص٢٧٥)، وَ«عُمْدَةَ القَارِي» لِلعَيْنِيِّ (ج١٢ ص١٧٩)، وَ«فَتْحَ البَارِي» لِابنِ حَجَرٍ (ج٦ ص٢١٩)، وَ«إِرْشَادَ السَّارِي» لِلقَسْطَلَانِيِّ (ج٧ ص٣٤).

قَالَ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» (ج٢ ص٥٣٩): (**وَفِي هَذَا الحَدِيثِ**: تَحْذِيرٌ مِنْ بَذْلِ المَالِ فِي غَيْرِ مَا يَنْفَعُ، وَالتَّخَوُّضُ فِيهِ؛ لِأَنَّ المَالَ جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، قِيَامًا لِلنَّاسِ تَقُومُ بِهِ مَصَالِحُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَإِذَا بَذَلَهُ فِي غَيْرِ مَصْلَحَةٍ كَانَ مِنَ المُتَخَوِّضِينَ فِي مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ حَقٍّ)[1].اهـ

قُلْتُ: فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ المَالَ قِيَامًا لِلنَّاسِ، تَقُومُ بِهِ مَصَالِحُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

* **وَفِي هَذَا الحَدِيثِ**: حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ الرِّجَالِ مِنَ العُمَّالِ وَغَيْرِهِمْ: أَنْ يَتَخَوَّضُوا؛ أَيْ: يَتَصَرَّفُوا فِي مَالِ اللهِ تَعَالَىٰ.

* وَهَذَا مَعْنًىٰ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا يَخُصُّ المَالَ مِنْ حَيثُ جَمْعُهُ، وَكَسْبُهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَإِنْفَاقُهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ الصَّحِيحَةِ.

* وَإِضَافَةُ المَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ يَقْصِدُ بِهِ مِنْ أَمْوَالِ الغَنَائِمِ، وَأَمْوَالِ التَّبَرُّعَاتِ، وَأَمْوَالِ خَاصَّةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِمَصَالِحِ النَّاسِ.

فَيَأْخُذُهَا العُمَّالُ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ أَيْ: بِالبَاطِلِ، فَيَأْخُذُونَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا يَسْتَحِقُّونَ بِزَعْمِهِمْ عَلَىٰ أُمُورِهِمْ، أَوْ يُعْطُونَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ بِحَقٍّ.

---

(١) فَالأَمْوَالُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الحِزْبِيُّونَ؛ بِدُونِ حَقٍّ: هِيَ أَمْوَالُ سُحْتٍ، يَأْكُلُونَهَا حَرَامًا، وَفِي ذَلِكَ الهَلَكَةُ، وَالعَذَابُ.

وَهَذَا مِنَ المَخَاوِفِ مِنْ عُقُوبَةِ كَسْبِ المَالِ الحَرَامِ.

١٠) وَعَنْ أَبِي بِشْرٍ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ ﷺ قَالَ: تَحَمَّلْتُ[١] حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: (أَقِمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ:

*** رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً[٢]، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ.**

*** وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ.**

*** وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّىٰ يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ.**

فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١٠٤٤)، وَأَبُو القَاسِمِ البَغَوِيُّ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» (ج٤ ص٢١٠ و٢١١)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» (١٦٤٠)، وَأَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» (ج٣ ص٤٧٧)، وَالحُمَيدِيُّ فِي «المُسْنَدِ» (٨١٩)، وَابنُ قَانِعٍ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» (١٥٤٨)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَىٰ» (ج٦ ص٧٣)، و(ج٧ ص٢١

---

(١) **تَحَمَّلْتُ**: تَكَلَّفْتُ مَالاً، لِإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ.

(٢) **الحَمَالَةُ**: بِالفَتْحِ، مَا يَتَحَمَّلُهُ الإِنْسَانُ عَنْ غَيرِهِ مِنْ دِيَةٍ، أَوْ غَرَامَةٍ.

تَحَمَّلْتُ: تَكَلَّفْتُ مَالاً، لِإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ.

مِثْلُ: أَنْ يَقَعَ حَرْبٌ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ: تُسْفَكُ فِيهَا الدِّمَاءُ، فَيَدْخُلُ بَيْنَهُمْ رَجُلٌ يَتَحَمَّلُ دِيَاتِ القَتْلَىٰ، يَسْتَدِينُهُ وَيَدْفَعُهُ، لِيُصْلِحَ ذَاتِ البَيْنِ.

وَانْظُرْ: «النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ» لِابنِ الأَثِيرِ (ج١ ص١٠٥١).

و٢٣)، وَالدَّارَقُطْنِيُّ فِي «السُّنَنِ» (ج٢ ص١٢٠)، وَابنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٣٧٥)، و(٢٣٦٠)، و(٢٣٦١)، وَابنُ الجَارُودِ فِي «المُنْتَقَىٰ» (٣٦٧)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مَعَانِي الآثَارِ» (ج٢ ص١٧ و١٨)، وَالدَّارِمِيُّ فِي «المُسْنَدِ» (ج١ ص٣٩٦)، وَعَبْدُالرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (٢٠٠٠٨)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَىٰ» (٢٣٧١)، و(٢٣٧٢)، وَفِي «المُجْتَبَىٰ» (ج٥ ص٨٨ و٨٩)، وَالبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (١٦٢٥)، وَفِي «مَصَابِيحِ السُّنَّةِ» (ج٢ ص٣٢)، وَابنُ الجَوْزِيِّ فِي «جَامِعِ المَسَانِيدِ» (ج٦ ص٤٣٧)، وَأَبُو عُبَيدٍ فِي «الأَمْوَالِ» (١٧٢٣)، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «المُسْنَدِ» (١٣٢٧)، وَابنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الآحَادِ وَالمَثَانِي» (١٤٤٣)، وَابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (ج٣ ص٢١٠ و٢١١)، وَابنُ زَنْجَوَيْهِ فِي «الأَمْوَالِ» (٨٢٠)، وَابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٢٩١)، وَأَبُو نُعَيمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (ج٤ ص٢٣٣٢)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيرِ» (٩٥٠)، و(٩٥١)، و(٩٥٢)، و(٩٥٣)، وَابنُ الأَثِيرِ فِي «أُسْدِ الغَابَةِ» (ج٤ ص٤٦٧) مِنْ طُرُقٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ رِئَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي كِنَانَةُ بْنُ نُعَيْمٍ الْعَدَوِيُّ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ ﷺ بِهِ.

وَالمَعْنَىٰ المُرَادُ:

قَوْلُهُ ﷺ: (تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً)؛ الحَمَالَةُ بِفَتْحِ الحَاءِ: مَا يَتَحَمَّلُهُ الإِنْسَانُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ دِيَةٍ أَوْ غَرَامَةٍ، كَأَنْ يَقَعَ قِتَالٌ أَوْ خِصَامٌ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إِنْسَانٌ ذَاتَ بَيْنِهِمْ عَلَىٰ

مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ، وَيَلْتَزِمُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَالتَّحَمُّلُ: هُوَ أَنْ يَحْمِلَ الحَمَالَةَ عَنْهُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ فِيهَا.(١)

* **إِمَّا ظَرْفِيَّةٌ**، أَيْ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ المَالَ فِي شَأْنِ إِعْطَائِي مِقْدَارَ الحَمَالَةِ الَّتِي تَحَمَّلْتُهَا.

* **وَإِمَّا سَبَبِيَّةٌ**، وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي لِلتَّعْلِيلِ، أَيْ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ المَالُ بِسَبَبِ الحَمَالَةِ الَّتِي تَحَمَّلْتُهَا.

وَكُلٌّ مِنَ الظَّرْفِيَّةِ، وَالسَّبَبِيَّةِ مِنْ مَعَانِي: «فِي»؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ النُّحَاةِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (**أَقِمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ**)؛ أَيْ: حَتَّىٰ تَأْتِينَا الزَّكَاةُ، لِأَنَّ مَنْ تَحَمَّلَ الحَمَالَةَ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ الغَارِمِينَ المَنْصُوصِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ مِنْ مُسْتَحِقِّي الزَّكَاةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ.

وَأَصْلُ الصَّدَقَةِ؛ مَا يُعْطَىٰ لِلفُقَرَاءِ ابْتِغَاءِ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتُطْلَقُ عَلَىٰ الزَّكَاةِ المَفْرُوضَةِ، كَمَا تُطْلَقُ عَلَىٰ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (**حَتَّىٰ يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ**):

* **يُصِيبُهَا**: أَيْ يَجِدُهَا، وَيَحْصُلُ عَلَيْهَا، يُقَالُ أَصَابَ الشَّيْءَ إِذَا وَجَدَهُ وَحَصَلَ عَلَيْهِ.

* **يُمْسِكُ**: أَيْ يَسْكُتُ عَنِ المَسْأَلَةِ، تَقُولُ: أَمْسَكْتُ عَنِ الكَلَامِ إِذَا سَكَتَّ.

---

(١) **وَسُؤَالُ المَالِ**: طَلَبُ إِعْطَائِهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (**أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ**)؛ الجَائِحَةُ: المُصِيبَةُ العَظِيمَةُ الَّتِي تَحِلُّ فِي مَالِ إِنْسَانٍ فَتَسْتَأْصِلَهُ كُلَّهُ، يُقَالُ: أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ شَدِيدَةٌ اجْتَاحَتْ أَمْوَالَهُمْ، وَجَاحَتْهَا.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (**قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ سِدَادًا**[1] **مِنْ عَيْشٍ**):

* **قِوَامًا**: بِكَسْرِ القَافِ، وَيَجُوزُ فَتْحُهَا، هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الإِنْسَانِ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ، بِحَاجَتِهِ الضَّرُورِيَّةِ، **وَقَوْلُهُ** ﷺ: «**مَنْ عَيْشٍ**»؛ بَيَانٌ لِلمُرَادِ مِنَ القِوَامِ هُنَا.

* **سِدَادًا**: بِكَسْرِ السِّينِ، وَيَجُوزُ بِفَتْحِهَا، وَلَكِنَّ الكَسْرَ أَفْصَحُ، هُوَ مَا تُسَدُّ بِهِ حَاجَةُ المُعْوِزِ، **وَقَوْلُهُ** ﷺ: «**أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ**»؛ شَكٌّ مِنَ الرَّاوِيِّ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (**مِنْ ذَوِي الْحِجَا**)؛ أَيْ: مِنْ أَصْحَابِ العَقْلِ، فَالحِجَا: العَقْلُ، وَالفِطْنَةُ، وَجَمْعُهُ: أَحْجَاءٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (**السُّحْتُ**): بِضَمِّ السِّينِ، هُوَ الحَرَامُ الَّذِي لَا يَحِلُّ كَسْبُهُ مِنَ المَالِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَسْحُتُ البَرَكَةَ، أَيْ: يُذْهِبُهَا، **وَأَصْلُ السُّحْتِ**: مَصْدَرُ سَحَتَ، إِذَا قَشَرَ الشَّيْءَ؛ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّىٰ اسْتَأْصَلَهُ، وَالسُّحْتُ أَيضًا: العَذَابُ.

* **يَقُولُ هَذَا الصَّحَابِيُّ عَنْ نَفْسِهِ**: إِنَّهُ قَدْ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ فِيهَا، أَيْ التَزَمَ فِي سَبِيلِ إِصْلَاحِهِ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ مُخْتَصِمَيْنِ مِنْ قَوْمِهِ؛ أَنْ يَدْفَعَ مِنْ مَالِهِ مَا يَحُلُّ بِهِ عُقْدَةُ خِلَافِهِمَا، فَهُوَ بِهَذَا يَدْخُلُ فِي قِسْمِ الغَارِمِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ مَا

---

(١) **السِّدَادُ**: بِكَسْرِ السِّينِ، وَهُوَ مَا يُغْنِي مِنَ الشَّيءِ، وَمَا تُسَدُّ بِهِ الحَاجَةُ، وَكُلُّ شَيءٍ سَدِدْتُ بِهِ شَيْئًا، فَهُوَ سِدَادٌ بِالكَسْرِ.

غَرِمُوهُ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَةِ، أَخْذاً؛ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٠].

وَلَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيهَا، قَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «**أَقِمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا**»؛ أَيْ: بِمِقْدَارِ الحَمَالَةِ الَّتِي تَحَمَّلْتَهَا، وَدَلَّ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ هَذَا عَلَىٰ؛ أَنَّ مَنْ تَحَمَّلَ حَمَالَةً يَدْخُلُ فِي ضِمْنِ المُسْتَحِقِّينَ الَّذِينَ تُدْفَعُ لَهُمُ الصَّدَقَةُ، أَيْ: الزَّكَاةُ، وَإِذَا فَتَّشْنَا عَنْهُ ضِمْنَ الأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ المَذْكُورِينَ فِي الآيَةِ؛ وَجَدْنَاهُ مِنْ صِنْفِ الغَارِمِينَ.

وَمِنْ عَظِيمِ حِكْمَةِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَدَعْ هَذِهِ الحَادِثَةُ تَمُرُّ دُوْنَ أَنْ يُعْطِيَ فِيهَا بَيَانـًا شَامِلاً يُحَدِّدُ فِيهِ أَصْنَافَ النَّاسِ الَّذِينَ تَحِلُّ لَهُمُ المَسْأَلَةُ، وَهِيَ اسْتِجْدَاءُ أَمْوَالِ الصَّدَقَةِ، رَدْعـًا لِلَّذِينَ تُحَدِّثُهُمْ نُفُوسُهُمْ بِاسْتِجْدَاءِ الصَّدَقَاتِ طَمَعـًا، وَاسْتِكْثَاراً بِدُونِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حَقٌّ شَرْعِيٌّ بِهَا فِي نِظَامِ الإِسْلَامِ، لِأَنَّ أَخْذَ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ دُوْنَ اسْتِحْقَاقٍ شَرْعِيٍّ؛ عُدْوَانٌ عَلَىٰ المُسْتَحِقِّينَ، وَظُلْمٌ لَا يَأْذَنُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، وَمَكْسَبٌ حَرَامٌ يَسْحَتُ آكِلَهُ حَتَّىٰ يَسْتَأْصِلَهُ، وَيُهْلِكَهُ.

*** أَصْنَافُ النَّاسِ الَّذِينَ تَحِلُّ لَهُمُ المَسْأَلَةُ:**

* أَمَّا أَصْنَافُ النَّاسِ الَّذِينَ تَحِلُّ لَهُمُ المَسْأَلَةُ؛ فَثَلَاثَةٌ، بَيَّنَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ بَيَانـًا تَامًّا، **وَهِيَ كَمَا يَلِي:**

الصِّنْفُ الأَوَّلُ: «رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ»؛ فَالغَارِمُ لَهُ أَنْ يَسْأَلَ حَتَّىٰ يَنَالَ مِقْدَارَ الإِلْتِزَامِ الَّذِي الْتَزَمَهُ فِي حَمَالَتِهِ، فَإِذَا نَالَهُ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُمْسِكَ عَنِ المَسْأَلَةِ، وَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي أَنْ يَأْخُذَ مَا زَادَ عَلَيْهِ.

الصِّنْفُ الثَّانِي: «وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ».

وَيَدْخُلُ هَذَا الصِّنْفُ ضِمْنَ الفُقَرَاءِ، وَالمَسَاكِينِ الَّذِينَ نَصَّتْ عَلَيهِمُ الآيَةُ، فَهُوَ فِي الأَصْلِ رَجُلٌ غَنِيٌّ بِمَالِهِ، وَلَكِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَأَمْسَىٰ فَقِيراً ذَا حَاجَةٍ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ، وَلَكِنِ الشَّارِعَ هُنَا لَا يَأْذَنُ لِهَذَا الرَّجُلِ بِأَنْ يَسْتَمِرَّ فِي المَسْأَلَةِ حَتَّىٰ يُعَوِّضَ مِقْدَارَ مَا اجْتِيحَ مِنْ أَمْوَالِهِ، وَيَزِيدَ عَلَيهَا، وَإِنَّمَا يأْذَنُ لَهُ بِأَنْ يَسْأَلَ حَتَّىٰ يَنَالَ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ مَا يَكُونُ فِيهِ الكِفَايَةُ بِالمَعْرُوفِ، دُونَ زِيَادَةٍ، وَلَا اسْتِكْثَارٍ.

الصِّنْفُ الثَّالِثُ: «وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّىٰ يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ».

وَيَدْخُلُ هَذَا الصِّنْفُ أَيْضـًا ضِمْنَ الفُقَرَاءِ، وَالمَسَاكِينِ الَّذِينَ نَصَّتْ عَلَيهِمُ الآيَةُ.

* وَأَنْهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَلَامَهُ فِي بَيَانِ الأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ؛ بِوَعِيدٍ مَنْ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ اللهِ فِيمَا أَحَلَّ مِنَ المَسْأَلَةِ، فَقَالَ ﷺ: **«فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»**؛ فَكُلُّ مَا يُنَالُ عَنْ طَرِيقِ مَسْأَلَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ: مَالٌ سُحْتٌ،

وَمَكْسَبٌ حَرَامٌ، وَلَمْ يَكْتَفِ الرَّسُولُ ﷺ بقَوْلِهِ: «**سُحْتٌ**»، بَلْ أَكَّدَ ذَلِكَ بقَوْلِهِ: «**يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا**»، إِشَارَةً إِلَىٰ مَا فِي كَلِمَةِ السُّحْتِ مِنْ مَعْنَىٰ: الاسْتِئْصَالِ، وَالعَذَابِ.

قَالَ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التَّعْلِيقِ عَلَىٰ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (ج٥ ص١٦٩): (هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ تَحِلُّ فِيهَا المَسْأَلَةُ، **فَالَّذِينَ تَحِلُّ لَهُمُ المَسْأَلَةُ ثَلَاثَةٌ**:

الأَوَّلُ: إِنْسَانٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، يَعْنِي: ضَمِنَ فِي ذِمَّتِهِ شَيْئًا كَإِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ تَحَمَّلَ مِنْ أَجْلِهِ شَيْئًا مِنَ المَالِ، **وَمِنْ ذَلِكَ**: لَوْ تَحَمَّلَ حَمَالَةَ إِصْلَاحِ مَسْجِدٍ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَرْجِعُ بِمَا أَنْفَقَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ، فَهَذَا أَيْضًا تَحَمَّلَ حَمَالَةً؛ وَكَذَلِكَ الدِّيَةُ إِذَا وَجَبَتْ عَلَيْهِ لِكَوْنِهِ مِنَ العَاقِلَةِ.

المُهِمُّ: كُلُّ مَنْ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَلَهُ أَنْ يَسْأَلَ حَتَّىٰ يُصِيبَ هَذِهِ الحَمَالَةَ، ثُمَّ يُمْسِكُ، فَإِذَا تَحَمَّلَ عَشْرَةَ أَلَافٍ مَثْلاً، وَحَصَّلَ عَشْرَةَ أَلَافٍ؛ فَالوَاجِبُ الإِمْسَاكُ.

وَإِنْ زَادَ التَّبَرُّعُ عَمَّا تَحَمَّلَ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ إِنْ عَلِمَهُ، فَإِنْ جَهِلَهُ فَإِنَّهُ يَسْتَأْذِنُ فِي ذَلِكَ الحَاكِمَ الشَّرْعِيَّ؛ لِأَنَّ الحَاكِمَ الشَّرْعِيَّ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ، وَيُصْرَفُ فِي مِثْلِ هَذَا الَّذِي تَحَمَّلَ: إِنْ كَانَ تَحَمَّلَ لِعِمَارَةِ مَسْجِدٍ، يُصْرَفُ فِي عِمَارَةِ مَسْجِدٍ، وَإِنْ كَانَ تَحَمَّلَ فِي دِيَةٍ، فَإِنَّهُ يُصْرَفُ فِي الفُقَرَاءِ، أَوْ فِي غَيْرِهِ مِنْ وُجُوهِ الخَيْرِ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ اسْتِئْذَانِ المُحْكَمَةِ «أَيْ: الحَاكِمَ الشَّرْعِيَّ»؛ حَتَّىٰ لَا يَحْصُلَ فِي ذَلِكَ خَوْضٌ وَكَلَامٌ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ فَقِيراً لِقَوْلِهِ ﷺ: «**حَتَّىٰ يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ**»؛ وَكَذَلِكَ إِذَا تَحَمَّلَ حَمَالَةً بِنِيَّةِ الرُّجُوعِ، فَيُرَجِّعُ عَلَىٰ بَيْتِ المَالِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الثَّانِي: «**وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ**»؛ هَذَا أَيْضًا رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ كَحَرِيقٍ، وَغَرَقٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهَذَا أَيْضًا تَحِلُّ لَهُ المَسْأَلَةُ «**حَتَّىٰ يُصِيبَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ**»؛ يَعْنِي: حَتَّىٰ يُصِيبَ مَا يَكْفِيهِ.

وَالثَّالِثُ: «**وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ**»؛ أَيْ: حَاجَةٌ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالغِنَىٰ، فَتَحِلُّ لَهُ المَسْأَلَةُ، لَكِنْ يَقُولُ ﷺ: «**حَتَّىٰ يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ**»؛ يَعْنِي: هَذَا الرَّجُلُ مَعْرُوفٌ بِالغِنَىٰ، فَأُصِيبَ بِفَقْرٍ وَحَاجَةٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ شُهُودِ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ العَقْلِ، وَالمَعْرِفَةِ، وَالدِّرَايَةِ مِنْ قَوْمِهِ، أَيْ: مِنْ قَبِيلَتِهِ يَشْهَدُونَ بِأَنَّ فُلَانًا أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، فَتَحِلُّ لَهُ المَسْأَلَةُ، وَالمُرَادُ بِذَلِكَ: تَحِلُّ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا**»؛ يَعْنِي: تَكُونَ حَرَامًا عَلَيْهِ، **فَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ فَوَائِدٍ مِنْهَا**:

١) أَنَّهُ يَجُوزُ صَرْفُ الزَّكَاةِ فِي صِنْفٍ وَاحِدٍ؛ وَأَهْلُ الزَّكَاةِ ثَمَانِيَةٌ: الفُقَرَاءُ، وَالمَسَاكِينُ، وَالعَامِلُونَ عَلَيْهَا، وَالمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، وَفِي الرِّقَابِ، وَالغَارِمُونَ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَابنُ السَّبِيلِ، وَجْهُ الدِّلَالَةِ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَقِمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا**»؛ وَلَمْ يَقُلْ: نَأْمُرُ لَكَ مِنْهَا.

٢) أَنَّهُ يَجُوزُ إِعْطَاءُ الفَقِيرِ شَيْئًا كَثِيراً؛ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ الَّتِي تَأْتِي إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ لَيْسَتْ شَاةً، أَوْ بَعِيراً، بَلْ هِيَ عَدَدٌ كَبِيرٌ، لَكِنْ إِمَّا أَنْ تَأْتِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ جُمْلَةً

وَاحِدَةً، وَإِمَّا أَنْ تَأْتِيَ مُتَفَرِّقَةً، فَهَلْ نُعْطِي هَذَا الفَقِيرَ حَتَّىٰ يُصْبِحَ غَنِيًّا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ غَنِيٌّ، أَوْ نُعْطِي الفَقِيرَ بِمِقْدَارِ حَاجَتِهِ؟

الجَوَابُ: الفُقَهَاءُ رَحِمَهُمُ اللهُ يَقُولُونَ: يُعْطَىٰ الفَقِيرُ مَا يَكْفِيهِ لِسَنَةٍ فَقَطْ، لَيْسَ يُعْطَىٰ مَا يَكُونُ بِهِ غَنِيًّا، لِأَنَّ هَذَا قَدْ يَسْتَهْلِكُ مَالاً كَثِيراً يَحْرِمْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الفُقَرَاءِ المُحْتَاجِينَ، فَيُعْطَىٰ مَا يَكْفِيهِ سَنَةً، وَإِنَّمَا قَيَّدُوهُ بِسَنَةٍ؛ لِأَنَّ الغَالِبَ أَنَّهُ إِذَا دَارَتِ السَّنَةُ بَدَأَتْ أَمْوَالُ الزَّكَاةِ تَتَدَفَّقُ عَلَىٰ الفُقَرَاءِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ غَالِبُ الأَغْنِيَاءِ يُقَيِّدُونَ ذَلِكَ بِرَمَضَانَ مَثَلاً، فَيُعْطَىٰ هَذَا الرَّجُلُ لِمُدَّةِ سَنَةٍ، وَلَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ سَنَةٌ إِلَّا وَقَدْ حَلَّتْ زَكَاةٌ أُخْرَىٰ يُعْطَىٰ مِنْهَا.

٣) جَوَازُ حَبْسِ الفَقِيرِ، وَوَعْدِهِ لِانْتِظَارِ الصَّدَقَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَقِمْ»؛ يَعْنِي: عِنْدَنَا، وَلَمْ يَقُلْ: إِذْهَبْ، وَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّدَقَةِ فَائْتِ، بَلْ إِذَا بَقِيَ يُشَاهِدُهُ مَنْ يَبْذُلُ الصَّدَقَةَ فَهُوَ أَحْسَنُ، حَتَّىٰ إِذَا تَوَفَّرَتْ عِنْدَهُ أَعْطَاهُ.

٤) أَنَّ مِنَ البَيِّنَاتِ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ، وَذَلِكَ إِذَا أَصَابَ الغَنِيَّ فَاقَةٌ وَحَاجَةٌ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ، وَنِصَابُ الشُّهُودِ).اهـ

قُلْتُ: فَالحَدِيثُ فِيهِ بَيَانٌ لِمَنْ تَحِلُّ لَهُ المَسْأَلَةُ، وَحَدَّدَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، **بِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ، وَهُمْ**:

١) رَجُلٌ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ، فَهُوَ يَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ السِّدَادِ.

٢) رَجُلٌ اسْتَدَانَ: مِنْ أَجْلِ الإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، فَهُوَ يَسْأَلُ كَي يُؤَدِّيَ الدَّيْنَ.

٣) رَجُلٌ يَشْهَدُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِ الخَيرِ بِبَاطِنَةٍ: أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ المَسْأَلَةَ.

وَمَا عَدَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: فَالصَّدَقَةُ لَهُ سُحْتٌ.

* **مَعَانِي الكَلِمَاتِ:**

١) **تَحَمَّلْتُ**: تَكَفَّلْتُ مَالاً، لِإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ.

٢) **بِحَمَالَةٍ**: هِيَ أَنْ تَقَعَ بَيْنَ القَوْمِ تَشَاجُرٍ فِي الدِّمَاءِ، وَالأَمْوَالِ، وَيُخَافُ مِنْ ذَلِكَ فِتَنٌ عَظِيمَةٌ، فَيَتَوَسَّطُ الرَّجُلُ بَيْنَهُمْ، لِإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ، وَيَضْمَنُ لَهُمْ مَا يُرْضِيهِمْ، دَفْعاً لِلفِتْنَةِ.

٣) **الجَائِحَةُ**: الآفَةُ؛ كَالغَرَقِ، وَالحَرْقِ، وَفَسَادِ الزَّرْعِ.

٤) **لَا تَصْلُحُ**: لَا تَحِلُّ.

٥) **إِلَّا فِي ثَلَاثٍ**: فِي ثَلَاثِ أَحْوَالٍ.

٦) **رَجُلٌ**: حَالُ رَجُلٍ، وَالمُرَادُ: بِهَا لَا تَحِلُّ، إِلَّا لِضَرُورَةٍ مُلْجِئَةٍ، كَهِذِهِ الأَحْوَالِ.

٧) **حَتَّىٰ يَشْهَدَ**: غَايَةٌ لِإِصَابَةِ الحَاجَةِ، أَيْ: أَصَابَتْهُ الحَاجَةُ إِلَىٰ أَنْ ظَهَرَتْ لِعُقَلَاءِ قَوْمِهِ، وَصَارَتْ بَيِّنَةً.

٨) **الحِجَا**: العَقْلُ.

٩) **إِلَّا قَدْ حَلَّتْ**: فَمَا شَهِدُوا لَهُ، إِلَّا قَدْ حَلَّتْ.

١٠) **قِوَامًا**: بِكَسْرِ القَافِ، أَيْ: مَا يَقُومُ بِحَاجَتِهِ الضَّرُورِيَّةِ.

١١) **أَوْ سِدَاداً**: بِكَسْرِ السِّينِ، مَا يَكْفِي حَاجَتَهُ.

وَالسِّدَادُ: بِالكَسْرِ: كُلُّ شَيْءٍ سَدَدْتَ بِهِ خَلَلاً: فَهُوَ سِدَادٌ، وَهُوَ: مَا يُسَدُّ بِهِ الفَقْرُ، وَيَدْفَعُ، وَيَكْفِي الحَاجَةَ.

١٢) **السُّحْتُ**: هُوَ الحَرَامُ الَّذِي لَا يَحِلُّ كَسْبُهُ، لِأَنَّهُ يَسْحَتُ البَرَكَةَ، أَيْ: يُذْهِبُهَا.(١)

قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «المُفْهِمِ» (ج٣ ص٨٨): (قَوْلُهُ ﷺ: «**فَمَا سُوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ سُحْتٌ**»؛ السُّحْتُ: الحَرَامُ، وَسُمِّيَ بِهِ: لِأَنَّهُ يَسْحَتُ، وَيَمْحَقُ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: سُكُونُ الحَاءِ، وَضَمُّهَا). اهـ

قلتُ: وَهَؤُلَاءِ القَوْمُ؛ يُضَاهِئُونَ: يُشَابِهُونَ، وَيُوَافِقُونَ النَّصَارَىٰ الرُّهْبَانَ فِي أَفْكَارِهِمِ الخَبِيثَةِ.(٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

---

(١) وَانْظُرْ: «الحَاشِيَةَ عَلَىٰ مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» لِلسِّنْدِيِّ (ج٣ ص٦١٠ و٦١١)، وَ«التَّعْلِيقَ عَلَىٰ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِشَيْخِنَا ابنِ عُثَيْمِينَ (ج٥ ص١٦٥ و١٦٦ و١٦٧)، وَ«المُفْهِمَ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ» لِلقُرْطُبِيِّ (ج٣ ص٨٧ و٨٨ و٨٩)، وَ«المُعْلِمَ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ» لِلمَازِرِيِّ (ج٢ ص٢٠)، وَ«النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ» لِابنِ الأَثِيرِ (ج١ ص٣١١ و٣١٢)، و(ج٣ ص٢٨٠)، وَ«إِكْمَالَ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ» لِلقَاضِي عِيَاضٍ (ج٣ ص٥٧٧ و٥٧٨)، وَ«شَرْحَ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (ج٧ ص٤٠ و٤١)، وَ«المُغْنِيَ» لِابنِ قُدَامَةَ (ج٩ ص٣٢٣ و٣٢٥)، وَ«الكَافِيَ» لَهُ (ج٢ ص٢٠٠)، وَ«إِكْمَالَ إِكْمَالِ المُعْلِمِ» لِلأُبِّيِّ (ج٣ ص٥٢٢ و٥٢٣)، وَ«مُكَمِّلَ إِكْمَالِ الإِكْمَالِ» لِلسَّنُوسِيِّ (ج٣ ص٥٢٢ و٥٢٣)، وَ«الحَاشِيَةَ عَلَىٰ الرَّوْضِ المُرْبِعِ» لِابنِ القَاسِمِ (ج٣ ص٣١٧ و٣١٨)، وَ«مِرْقَاةَ المَفَاتِيحِ» لِلقَارِي (ج٢ ص٤٥١).

(٢) وانظر: «أَحْكَامَ القُرْآنِ» للجَصَّاصِ (ج٤ ص٢٩٩)، و«تَفْسِيرَ غَرِيبِ القُرْآنِ» لابنِ قُتَيْبَةَ (ص١٨٤)، و«بَحْرَ العُلُومِ» للسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج٢ ص٥٣)، و«لُبَابَ التَّأْوِيلِ» للخَازِنِ (ج٣ ص٦٨)، و«الكَشْفَ والبَيَانَ» للثَّعْلَبِيِّ (ج٥ ص٣٣ و٣٤).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُضَاهُونَ﴾(١)؛ قَالَ: (يُشَبِّهُونَ).

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (٩٧٨)، والطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (ج١٤ ص٢٠٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بنُ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَذَكَرَهُ الشَّوْكَانِيُّ فِي «فَتْحِ القَدِيرِ» (ج٢ ص٣٥٥)، والقُرْطُبِيُّ فِي «الجَامِعِ لأَحْكَامِ القُرْآنِ» (ج٨ ص١١٨).

قلتُ: فـ«**عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ الخَالِقِ**» الرَّاهِبُ، وأَتْبَاعُهُ: «**الرُّهْبَانُ**» يُضَاهُونَ فِكْرَ: «الرُّهْبَانِ» مِنَ النَّصَارَىٰ: «أَصْحَابِ الصَّوَامِعِ»، و«الكَنَائِسِ» فِي سِيَاسَتِهِمْ البِدْعِيَّةِ: مِنْ قَوْلِهِمْ بالمُظَاهَرَاتِ، والاعْتِصَامَاتِ، والمَسِرَاتِ، والثَّوْرَاتِ، والفَوْضَىٰ فِي البُلْدَانِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

---

(١) **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: (يُضَاهُونَ)**؛ بِضَمِّ: «الهَاءِ»، مِنْ غَيْرِ: «هَمْزٍ»: وَهِيَ قِرَاءَةٌ لِغَيْرِ: «عَاصِمِ بنِ أَبِي النَّجُودِ»، أَمَّا هُوَ: فَيقرَؤُهَا: بكَسْرِ: «الهَاءِ»، وبَهَمْزَةٍ مَضْمُومَةٍ.

انظر: «الكَشْفَ والبيَانَ» للثَّعْلَبِيِّ (ج٥ ص٣٣).

قلتُ: وَلاَ تَعْرِفِ الحَقّ بالرِّجَالِ، بَلْ اعْرِفِ الحَقّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ، وَعَادَةُ الضُّعَفَاءِ يَعْرِفُونَ الحَقّ بالرِّجَالِ لاَ الرِّجَالَ بالحَقِّ، والعَاقِلُ يَعْرِفُ الحَقَّ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي قَوْلِ نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا قَبِلَهُ، وإِنْ كَانَ بَاطِلاً رَدَّهُ، وَهَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ أَئِمَّتُنَا بِصِفَائِهِ ونَقَائِهِ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ تَعَالَىٰ.

والاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ تَعَالَىٰ يَتَضَمَّنُ الاجْتِمَاعَ عَلَىٰ الحَقِّ، والتَّعَاوُنَ عَلَىٰ البَرِّ والتَّقْوَىٰ، والتَّنَاصُرَ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الدَّاخِلِ والخَارِجِ، وأَعْدَاءِ المُسْلِمِينَ، والأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفَتَاوَىٰ» (ج٧ ص٧١): (وَلَكِنْ مَنْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ثُمَّ اتَّبَعَهُ عَلَىٰ خَطَئِهِ، وَعَدَلَ عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ، **فَهَذَا لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ الَّذِي ذَمَّهُ اللهُ**، لَا سِيَّمَا إِنِ اتَّبَعَ فِي ذَلِكَ هَوَاهُ، وَنَصَرَهُ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلرَّسُولِ ﷺ؛ فَهَذَا شِرْكٌ يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ.

وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّهُ إِذَا عَرَفَ الْحَقَّ لَا يَجُوزُ لَهُ تَقْلِيدُ أَحَدٍ فِي خِلَافِهِ).اهـ

قلتُ: والزَّمَانُ الَّذِي نَعِيشُهُ يَمُوجُ باتِّجَاهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَفْكَارٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وانْتِمَاءَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، بَلْ وَجَمَاعَاتٍ هَدَّامَةٍ، وَكُلُّ جَمَاعَةٍ تَحْتَكِرُ الحَقَّ لِنَفْسِهَا، وَتَزْعُمُ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تُمَثِّلُ الإِسْلاَمَ الصَّحِيحَ، وَلاَ شَيْءَ سِوَاهَا!.

قَالَ تَعَالَىٰ؛ **عَنِ الأَحْزَابِ**: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًىٰ وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج:٨].

١١) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَتَتَّبِعُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرِ ضَبٍّ لاتَّبَعْتُمُوهُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ).[1]

١٢) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حُلْوَهَا، وَمُرَّهَا).

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص ٢٧٤)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٤ ص١٦٣١).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (ج١٤ ص٩٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي خَالِدٍ الأَحْمَرِ، عَنْ يَحْيَىٰ بنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُمَرَ بنِ الحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

١٣) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (أَنْتُمْ أَشْبَهُ النَّاسِ سَمْتًا، وَهَدْيًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لَتَسْلُكُنَّ طَرِيقَهُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، وَالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ)

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (ج١٤ ص٩٦) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ ثَرْوَانَ الأَوْدِيِّ، عَنْ هُزَيْلِ بنِ شُرَحْبِيلَ الأَوْدِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ﷺ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قلتُ: فَإِنَّ لِكُلّ جَمَاعَةٍ مِنَ الجَمَاعَاتِ الحِزْبِيَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ عَنْ صَفِّ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ الحَقِيقَيَّةِ؛ نَصِيبًا مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ مِنَ الوُقُوعِ فِيمَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَحَذَّرَ مِنْهُ الرَّسُولِ ﷺ؛ مِنْ مُشَاقَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، واتِّبَاعِ غَيْرِ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ، واتِّبَاعِ المُتَشَابِهِ، وابْتِغَاءِ الفِتْنَةِ، وابْتِغَاءِ التَّأْوِيلِ الفَاسِدِ، والجِدَالِ والمِرَاءِ فِي الدِّينِ بغَيْرِ عِلْمٍ، ولاَ هُدًىٰ، ولاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ، والقَوْلِ عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، واتِّبَاعِ الأَهْوَاءِ، واتِّبَاعِ طَرَائِقِ الأُمَمِ

الهَالِكَةِ، والتَّفَرُّقِ في دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَكُلُّ جَمَاعَةٍ سَلَكَتْ طُرُقًا مِنْ هَذِهِ المَنَاهِجِ مِنْ مُقَلٍّ أَوْ مُكْثِرٍ.(١)

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **في «مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ» (ص٣٥٠)**: (فَأَخْبَرَ ﷺ: أَنَّهُ لابدَّ مِنْ أن يكونَ في الأُمّةِ مَنْ يَتَشَبَّهُ باليَهُودِ والنَّصارىٰ، وبفارسَ الرُّومِ، وَظُهُورُ هذا الشَّبَهِ فِي الطَّوائِفِ(٢)؛ إنَّما يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَ الحَقَّ وضِدَّهُ، وَعَرَفَ الواجبَ والواقِعَ، وطَابَقَ بينَ هَذَا وَهَذَا، وَوَازَنَ بين ما عليهِ النَّاسُ اليَوْمَ، وبينَ ما كانَ عليهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ).اهـ

قلتُ: وَبِدْعَةُ: «**الرَّهْبَةِ**» لَهَا تَأْثِيرُهَا في النُّفُوسِ مِنْ سُوءِ الأَخْلاَقِ، وسُوءِ الأَضرَارِ، مِنْ ذَلِكَ: أَكْلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بالحِيَلِ المَشِينَة، والعِيَاذُ باللهِ.

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانِ في «المُلَخَّصِ في شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص١٩٣): (**المَعْنَىٰ الإِجْمَالِيُّ للحَدِيثِ**: يُخْبِرُ ﷺ خَبَراً؛ **مَعْنَاهُ**: النَّهْيُ عَمَّا

---

(١) وانظر: «القَوْلَ المُفِيدِ» لِشَيْخِنَا ابنِ عُثَيْمِينَ (ج١ ص٤٧٨)، و«إِعَانَةَ المُسْتَفِيدِ» للشَّيْخِ الفَوْزَانَ (ج١ ص٤٥٠ و٤٥١)، و«قُرَّةَ عُيُونِ المُوَحِدِينَ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ الشَّيْخِ (ص١٩٠)، و«فَتْحَ المَجِيدِ» لَهُ (ج١ ص٤٤٤)، و«تَيْسِيرَ العَزِيزِ الحَمِيدِ» للشَّيْخِ سُلَيْمَانَ آلِ الشَّيْخِ (ج١ ص٧٥٠).

(٢) مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبَارِحَةِ، وَوَازِنْ بَيْنَ مَا عَلَيْهِ الجَمَاعَاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ اليَوْمَ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ التَّعَصُّبِ الحِزْبِيِّ.

قلتُ: فَفِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يَحْذُو حَذْوَ الفَرِيقَيْنِ!.

قَالَ العَلاَّمَةُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدُ اللهِ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ **في «تَيْسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ» (ج١ ص٧٥٠)**: (لَكِنْ لَيْسَ الحَدِيثَ إِخْبَاراً عَنْ جَمِيعِ الأُمَّةِ؛ لِمَا تَوَاتَرَ عَنْهُ ﷺ: أَنَّهَا لاَ تَجْتَمِعُ عَلَىٰ ضَلاَلَةٍ). اهـ

يَتَضَمَّنَهُ هَذَا الخَبَرَ: أَنَّ أُمَّتَهُ لاَ تَدَعُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَفْعَلَهُ اليَهُودُ والنَّصَارَىٰ إِلاَّ فَعَلَتْهُ كُلَّهُ، لاَ تَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَوْ كَانَ شَيْئًا تَافِهًا.

وَيُؤَكِّدُ هَذَا الخَبْرَ: بِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّأْكِيدَاتِ، وَهِيَ: اللاَّمُ المُوطئَةِ للقَسَمِ، وَنُونُ التَّوْكِيدِ، وَوَصْفُ مُشَابَهَتِهِمْ بِأَنَّهَا كَمُشَابَهَةِ قُذْةِ السَّهْمِ للقُذَّةِ الأُخْرَىٰ.

ثُمَّ وَصَفَهَا بِمَا هُوَ: أَدَقُّ فِي التَّشَبُّهِ بِهِمْ؛ بِحَيْثُ لَوْ فَعَلُوا شَيْئًا تَافِهًا غَرِيبًا لَكَانَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يَفْعَلُهُ تَشَبُّهًا بِهِمْ). اهـ

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَيْسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ» (ج١ ص٧٤٧): (قَوْلُهُ ﷺ: (**حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ**)؛ أَيْ: لَتَفْعَلُنَّ أَفْعَالَهُمْ، وَلَتَتَّبِعُنَّ طَرَائِقَهُمْ؛ حَتَّىٰ تُشْبِهُوهُمْ، وَتُحَاذُوهُمْ، كَمَا تُشْبِهُ قُذَّةُ السَّهْمِ القُذَّةَ الأُخْرَىٰ.

* **ثُمَّ إِنَّ هَذَا لَفْظُ خَبَرٍ؛ مَعْنَاهُ**: النَّهْيُ عَنْ مُتَابَعَتِهِمْ... فَقَدِ اتَّبَعَ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِهِ سُنَنَ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَفَارِسٍ، فِي شِيَمِهِمْ، وَمَرَاكِبِهِمْ، وَمَلاَبِسِهِمْ، وَإِقَامَةِ شِعَارِهِمْ... **واتِّخَاذِ الأَحْبَارِ، وَالرُّهْبَانِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَىٰ**، وَالإِعْرَاضِ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالإِقْبَالِ عَلَىٰ كُتُبِ الضَّلاَلِ[1]: مِنَ السِّحْرِ، وَالفَلْسَفَةِ، وَالكَلاَمِ.

* **وَالتَّكْذِيبِ بِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ**: الَّتِي وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ ، وَوَصْفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ، وَالعُيُوبِ؛ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اتَّبَعُوا فِيهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَىٰ). اهـ

---

(١) **مِثْلُ**: «**كُتُبِ: سَيِّدِ بنِ قُطْبٍ**»، وَهِيَ كُتُبُ ضَلاَلٍ، وَقَدْ كَتَبَهَا عَلَىٰ طَرِيقَةِ أَفْكَارِ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، لِأَنَّهُ عَاشَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِسِنِينَ طَوِيلَةٍ فِي: «**أَمْرِيكَا**»، وَ«**فَرَنْسَا**»، وَغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الغَرْبِ.

وَقَالَ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ آلُ الشَّيْخِ رحمه الله فِي «تَيْسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ» (ج١ ص٧٤٩): (فَأَخبَرَ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْعَلُ مَا فَعَلَتْهُ: اليَهُودُ[١]، وَالنَّصَارَىٰ[٢]، وَفَارِسٌ مِنَ الأَدْيَانِ، وَالعَادَاتِ، وَالاخْتِلَافِ). اهـ

قُلْتُ: وَهَذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الذَّمِّ لِمَنْ يَتَّبِعُ اليَهُودَ، وَالنَّصَارَىٰ[٣] فِي دِينِهِمُ البَاطِلِ.

وقَالَ العَلاَّمة القَاسِمِيُّ رحمه الله في «مَحَاسِنِ التَّأويل» (ج١٦ ص٥٨)؛ عَنِ الرُّهْبَانِ: (بَلْ اتَّخَذُوهَا -يَعْنِي: الرَّهْبَانِيَّةَ- آلةٌ للتَّرَؤُسِ والسُّؤْدَدِ، وإِخْضَاعِ الشَّعْبِ لأَهْوَائِهِم). اهـ

وقَال العَلاّمة القاسميُّ رحمه الله في «مَحَاسِنِ التَّأويلِ» (ج١٦ ص٦٠): (فالطَّرِيقَةُ الرَّهْبَانيّة: هِيَ اخْتِرَاعٌ شَيْطَانِيٌّ قَبِيحٌ). اهـ

---

(١) **وَكُفْرُ اليَهُودِ**: أَشَدُّ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ العَمَلِ بِعِلْمِهِمْ؛ فَهُمْ: يَعْلَمُونَ الحَقَّ، وَلَا يَتَّبِعُونَهُ عَمَلاً، وَلَا قَوْلاً.

(٢) **وَكُفْرُ النَّصَارَىٰ**: مِنْ جِهَةِ عَمَلِهِمْ بِلَا عِلْمٍ، فَهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي أَصْنَافِ العِبَادَاتِ؛ بِلَا شَرِيعَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَقُولُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

قُلْتُ: فَفِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يَحْذُو حَذْوَ اليَهُودِ فِي اتِّبَاعِهِمْ، وَالنَّصَارَىٰ فِي اتِّبَاعِهِمْ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

وَانْظُرْ: «اقْتِضَاءَ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمَ» لِابنِ تَيْمِيَّةَ (ج١ ص١٥ و١٦)، وَ«تَيْسِيرَ العَزِيزِ الحَمِيدِ» لِلشَّيْخِ سُلَيمَانَ آلِ الشَّيْخِ (ج١ ص٧٥٠)، وَ«فَيْضَ القَدِيرِ» لِلمُنَاوِيِّ (ج٥ ص٢٦١).

(٣) لَكِنْ لَيْسَ الحَدِيثُ إِخْبَاراً عَنْ جَمِيعِ الأُمَّةِ، لِمَا تَوَاتَرَ عَنْهُ صلىٰ الله عليه وسلم أَنَّهَا لَا تَجْتَمِعُ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ قَائِمَةٌ عَلَىٰ الحَقِّ، وَهِيَ أُمَّةُ الإِجَابَةِ.

وَانْظُرْ: «تَيْسِيرَ العَزِيزِ الحَمِيدِ» لِلشَّيْخِ سُلَيمَانَ آلِ الشَّيْخِ (ج١ ص٧٥٠)، وَ«الفَتَاوَىٰ» لِابنِ تَيْمِيَّةَ (ج١ ص١٩٧)، وَ«نَظْمَ المُتَنَاثِرِ مِنَ الحَدِيثِ المُتَوَاتِرِ» لِلكَتَّانِيِّ (ص١٦١).

وقَال العَلاّمة القاسميُّ رحمه الله **في «مَحَاسِنِ التَّأويلِ»** (ج١٦ ص٦٠): (وهَؤُلاءِ الرُّهْبَانُ لاَ نَفْعَ مِنْهُمْ للرَّعِيَّةِ). اهـ

وقَالَ الفَقِيهُ ابنُ العَرَبِيِّ رحمه الله **في «أَحْكَامِ القُرْآن»** (ج٢ ص٣٦٨): (كَانَتْ شِرْعَةُ مَنْ قَبْلنَا بالرَّهَبانِيَّةِ، وشَرِيعتُنَا بالحَنِيفيَّةِ السَّمْحَةِ). اهـ

وَقَالَ العَلاّمة ابنُ بَدْرَانَ رحمه الله **في «العُقُودِ اليَاقُوتِيَّةِ»** (ص٤٨): (فالأَهْوَاءُ مَتَىٰ حَلَّتْ بصَاحِبِهَا أَخَذَتْهُ عَنِ الحَقّ، وجَعَلتِ البَاطِلَ سَارِيًا في لحْمهِ ودَمِهِ، فَإِذَا خَالطَهُ أَحَدٌ حَصَلَتْ لَهُ العَدْوَىٰ مِنْهُ). اهـ

قلتُ: وَمَا وَقَعَ هَؤُلاءِ في الضَّلالَةِ؛ إلاَّ بَسَبَبِ التَّقْلِيدِ: في أَقْوَالِهِم، وأَفْعَالِهِم في الدِّينِ.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم رحمه الله **في «إِعْلاَمِ المُوقِعِينَ»** (ج١ ص٧): (تاللهِ إِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ، وَرَمَتِ الْقُلُوبَ فَأَصَمَّتْ، رَبَا عَلَيْهَا الصَّغِيرُ، وَهَرِمَ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَاتُّخِذَ لِأَجْلِهَا الْقُرْآنُ مَهْجُورًا، وَكَانَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا). اهـ

قلتُ: فَابْتَدَعُوا «**الرَّهْبَانِيّةَ الشَّيْطانِيَّة**»، فَأَسّسُوا لَهُمْ حِزْبًا خَبِيثًا، حَتَّىٰ وَصَلَ بِهِمْ الأَمْرُ أَنَّهُمْ أَكَلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ عَنْ طَرِيقِ مَا يُسَمَّىٰ: «**بالأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ**»، بَلْ جَعَلُوا أَتْبَاعَهُمْ الرِّعَاعَ والهَمَجَ أَنْ يُطِيعُوهُم في كُلِّ مَا يَقُولُونَ مِنَ البَاطِلِ في الأُصُولِ والفُرُوعِ، وفي المَنْهَجِ والدَّعْوَةِ!.

١٤) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١].

قَالَ شَيْخُنا العَلاَّمة مُحمَّد بنُ صَالِحٍ العُثيمِينَ رحمه الله في «القَوْلِ المُفِيدِ» (ج٢ ص٢٦٥): (فَمَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَسُولِهِ ﷺ، فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ: باعْتِبَارِ التَّصَرُّفِ الشَّرْعِيِّ؛ لأَنَّهُ اعْتبرهُمْ مُشرِّعِينَ، واعْتُبرَ تَشْريعُهُمْ شَرْعًا يُعْمَلُ بِهِ). اهـ

وقَالَ العَلاّمةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفُوزان حَفِظَهُ اللهُ في «إِعَانَةِ المُسْتَفِيدِ» (ج٢ ص١٥٩): (دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ طَاعَةَ الأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ: فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ، أَوْ تَحِليلِ مَا حَرَّمَ اللهُ؛ أَنَّهُ يُعْتَبرُ شِرْكًا باللهِ عَزَّ وَجَلَّ). اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله في «الفَتَاوَىٰ» (ج٧ ص٧٠): (وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ وَعَكْسُهُ؛ **يَكُونُونَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ**:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ، فَيَتْبَعُونَهُمْ عَلَىٰ التَّبْدِيلِ؛ فَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللهُ اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ؛ فَهَذَا كُفْرٌ، **وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ تعالىٰ، وَرَسُولُهُ ﷺ شِرْكًا، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ وَيَسْجُدُونَ**.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ، وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ ثَابِتًا، لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ

أَنَّهَا مَعَاصٍ؛ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ).[1] اهـ

وقَالَ العَلاَّمَةُ القَاسِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «مَحَاسِنِ التَّأْوِيلِ» (ج٨ ص١٩٢): (ثُمَّ بَيّنَ تَعَالَىٰ حَالَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ في إغْوَائِهِمْ لأَرْاذَلِهِمْ، **إِثْرَ بَيَانِ سُوءِ حَالِ الأَتْبَاعِ في اتِّخَاذِهِمْ لَهُمْ أَرْبَابًا يُطِيعُونَهُمْ في الأَوْامِرِ والنَّوَاهِي**، وَاتِّباعُهُمْ لَهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ، وَمَا يَذَرُونَ). اهـ

وَقَالَ ابنُ جُزَيّ المُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ص٢٥٢): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]؛ أَيْ: أَطَاعُوهُمْ؛ كَمَا يُطَاعُ الرَّبُّ تَعَالَىٰ، وإِنْ كَانُوا لَمْ يَعْبُدُوهُمْ). اهـ

وقَالَ الإِمَامُ البَيْضَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ» (ج١ ص٤٠٣): (قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]؛ بَأَنْ أَطَاعُوهُمْ في تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ تَعَالَىٰ، وتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ، أَوْ بالسُّجُودِ لَهُمْ). اهـ

١٥) وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١] قَالَ: قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ قَالَ: أَجَلْ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (٧١٤٥)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (١٨٤٠).

حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ: فَقَالَ ﷺ: أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ حَلاَلَ اللهِ فَتُحَرِّمُونَهُ ...). وَفِي رِوَايَةٍ: (يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ؟ قَالَ: صَدَقْتَ، وَلَكِنْ كَانُوا يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ فَيُحَرِّمُونَهُ).

حَدِيثٌ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ في «سُنَنِهِ» (ج٥ ص٢٨٧)، والبَغَوِيُّ في «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» تَعْلِيقًا (ج٤ ص٣٩)، والبُخَارِيُّ في «التَّارِيخِ الكَبِيرِ» (ج٧ ص١٠٦)، والنَّحَاسُ في «مَعَانِي القُرْآنِ» (ج٣ ص٢٠٢)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (٩٨٩)، والثَّعْلَبِيُّ في «الكَشْفِ والبَيَانِ» (ج٥ ص٣٤)، وابنُ حَزْمٍ في «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٨٣)، والبَيْهَقِيُّ في «السُّنَنِ الكُبْرَىٰ» (ج١٠ ص١١٦)، وفي «المَدْخَلِ إِلَىٰ عِلْمِ السُّنَنِ» (ج٢ ص٦٣٦)، وابنُ جَرِيرٍ في «جَامِعِ البَيَانِ» (ج١٠ ص١١٤)، وابنُ المُنْذِرِ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٣ ص٢٣٠-الدُّرّ المَنْثُورِ)، والطَّبَرَانِيُّ في «المُعْجَمِ الكَبِيرِ» (ج١٧ ص٩٢)، والسَّمَرْقَنْدِيُّ في «بُحْرِ العُلُومِ» (ج٢ ص٣٥)، والطُّيُورِيُّ في «الطُّيُورِيَّاتِ» (ج١ ص٢٤١ و٢٤٢)، وابنُ بِشْرَانَ في «الأَمَالِي» (ج٢ ص١٧٠)، والوَاحِدِيُّ في «الوَسِيطِ» (ج٢ ص٤٩)، والسُّهَمِيُّ في «تَارِيخِ جُرْجَانَ» (ص٥٤١)، والخَطِيبُ في «الفَقِيهِ والمُتَفَقِّهِ» (ج٢ ص١٢٩)، والمِزِّيُّ في «تَهْذِيبِ الكَمَالِ» (ج٢٣ ص١١٩)، والجَصَّاصُ في «أَحْكَامِ القُرْآنِ» (ج٣ ص١٠٤)؛ تَعْلِيقًا: مِنْ طُرُقٍ عَنْ عَبْدِ السَّلاَمِ بنِ حَرْبٍ المُلاَئِيِّ، عَنْ غُطَيْفِ بنِ أَعْيَنٍ، عَنْ مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ عَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ ﷺ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ لاَ بَأْسَ بِهِ؛ فِيهِ: غُطَيْفُ بنُ أَعْيَنٍ، **قَالَ الذَّهَبِيُّ عَنْهُ فِي «الكَاشِفِ» (ص٣٢٣)**: لَيَّنَهُ بَعْضُهُمْ، وَذَكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ» (ج٧ ص٣١١).

قلتُ: فَمِثْلُهُ حَسَنٌ فِي الشَّوَاهِدِ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَذَكَرَهُ ابنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٤ ص٢٧٥)، وابنُ الأَثِيرِ فِي «جَامِعِ الأُصُولِ» (ج٢ ص٤٩)، والسُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ المَنْثُورِ» (ج٧ ص٣٢٧).

وَأَوْرَدَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (ج٧ ص٨٦١).

وَيَشْهَدُ لَهُ:

مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٢٧٢)، وسَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٥ ص٢٤٥)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٦ ص١٤٥)، والبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَىٰ» (ج١٠ ص١١٦)، وفِي «المَدْخَلِ إِلَىٰ عِلْمِ السُّنَنِ» (ج٢ ص٦٣٥)، وسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ص١٢٤)، وابنُ عَبْدُ البَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ العِلْمِ» (ج٢ ص١٠٩)، والخَطِيبُ فِي «الفَقِيهِ والمُتفقهِ» (ج٢ ص١٠٣)، وابنُ حَزْمٍ فِي «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٩٠)، وابنُ المُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٣ ص٢٣٠-الدُّرّ المَنْثُورِ)، وابنُ جَرِيرٍ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (ج١٠ ص١١٤ و١١٥) مِنْ طَرِيقِ العَوَّامِ بنِ حَوَشْبٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، والأَعْمَشِ؛ كُلُّهُمْ عَنْ حَبِيبِ بنِ أَبِي ثَابِتٍ، **عَنْ أَبِي البَخْتَرِيِّ سَعِيدِ بنِ فَيْرُوزٍ الطَّائِيِّ**[1] **قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ**

(١) ثِقَةٌ ثَبْتٌ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ.

=

أَرَأَيْتَ؛ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١] أَكَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ؟ قَالَ: (لَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي الْمَعَاصِي). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَصُومُونَ لَهُمْ، وَلا يُصَلُّونَ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحِلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمْ حَرَّمُوهُ، فَتِلْكَ كَانَتْ رُبُوبِيَّتَهُمْ).

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وتَابَعَ؛ حَبِيبَ بنَ أَبِي ثَابِتٍ: عَطَاءُ بنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِي البَخْتَرِيِّ عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ ﷺ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١] قَالَ: (لَمْ يَعْبُدُوهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي الْمَعَاصِي).

أَخْرَجَهُ ابنُ جَرِيرٍ في «جَامِعِ البَيَانِ» (ج١٠ ص١١٤)، والبَيْهَقِيُّ في «شُعَبِ الإِيمَانِ» (ج٧ ص٤٥).

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ أَيْضًا.

* **فَرِوَايَةُ**: حُذَيْفَةَ تَشْهَدُ لَهُ، وَإِنْ كَانَتْ مَوْقُوفَةً؛ لَكِنَّ مِثْلَهَا لاَ يُقَالُ بالرَّأْيِ؛ فَلَهَا حُكْمُ المَرْفُوعِ، وَبِهَذَا يَرْقَىٰ الحَدِيثُ إِلَىٰ دَرَجَةِ الحَدِيثِ الحَسَنِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله في «الإِيمَانِ» (ص٦٤): (حَدِيثٌ حَسَنٌ). اهـ

=

انظر: «التَّقْرِيبَ» لابنِ حَجَرٍ (ص٣٨٦).

وَقَالَ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي «غَايَةِ المَرَامِ» (ص٢٠): (حَسَنٌ).

وَنَقَلَ تَحْسِينَ التِّرْمِذِيُّ لَهُ: المُبَارَكْفُورِيُّ فِي «تُحْفَةِ الأَحْوَذِيِّ» (ج٨ ص٤٩٤)، والحَدِيثُ حَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٢٤٧١).

وأَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (ج١٢ ص٣٠٣)، وآدَمُ بنُ أَبِي أَيَاسٍ فِي «تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ» (ص٣٦٧)، والثَّعْلَبِيُّ فِي «الكَشْفِ والبَيَانِ» (ج٥ ص٣٤) مِنْ طَرِيقِ ابنِ فُضَيْلٍ، وَأَبِي الأَحْوَصِ، وَجَرِيرٍ، وَوَرْقَاءٍ؛ كُلُّهُمْ: عَنْ عَطَاءِ بنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي البَخْتَرِيِّ -وَهُوَ ثِقَةٌ ثَبْتٌ- **قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١] قَالَ: (أَطَاعُوهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ حَرَامِ اللهِ وَحَلَالِهِ، فَجَعَلَ اللهُ طَاعَتَهُمْ لَهُمْ عِبَادَةً). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَعَبَدُوهُمْ بِذَلِكَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ أَمَرُوهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مَا أَطَاعُوهُمْ[1]، وَلَكِنَّهُمْ أَمَرُوهُمْ، فَجَعَلُوا حَلالَ اللهِ حَرَامَهُ، وَحَرَامَهُ حَلالَهُ، فَأَطَاعُوهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ الرَّبُوبِيَّةَ).**

وإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَهَذا تَفْسِيرُ أَبِي البَخْتَرِيِّ للآيَةِ.

---

(١) **يَعْنِي:** لَوْ قَالُوا لأَتْبَاعِهِمْ اعْبُدُونَا، لَمْ يَفْعَلُوا؛ لأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا لَهُمْ ذَلِكَ لانْكَشَفُوا للأَتْبَاعِ، لَكِنَّ يَأْتُونَهُمْ بالشُّبَهَاتِ والتَّحْرِيفَاتِ، والحِيَلِ فِي الدِّينِ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ طَاعَتَهُمْ بذَلِكَ؛ فَأَطَاعُوهُمْ، فَضَلُّوا فِي الدِّينِ، والعِيَاذُ باللهِ.

وانظر: «جَامِعَ البَيَانِ» لابنِ جَرِيرٍ (ج١٠ ص١١٥).

١٦) وعَنِ الْحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ؛ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١] قَالَ: (فِي الطَّاعَةِ).[1]

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ ابنُ جَرِيرٍ في «جَامِعِ البَيَانِ» (ج١٠ ص١١٥) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ أَشْعَثِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قَالَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «شُعَبِ الإِيمَانِ» (ج٧ ص٥٤)؛ فَصْلٌ: مِنْ هَذَا الْبَابِ مُجَانَبَةُ الْفَسَقَةِ، وَالْمُبْتَدِعَةِ وَمَنْ لَا يُعِينُكَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قلتُ: فَبَيَّنَ هَذَا الحَدِيثُ؛ أَنَّ مِنْ عِبَادَةِ الرُّهْبَانِ هِيَ: طَاعَتُهُمْ فِي آرَائِهِمْ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْهُمْ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنَ الدِّينِ وَهِيَ: لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ؛ لأَنَّهُمْ جَعَلُوا رُهْبَانَهُمْ آلِهَةً لَهُمْ يُشَرِّعُونَ لَهُمْ مَا يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ[2]، وَفِي هَذَا اتِّبَاعِ: «**الرَّهْبَانِيَّةِ الضَّالَّةِ**».[1]

---

(١) **قلتُ**: فَلَمْ يَأْمُرُوهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُمْ، وَلِكِنْ أَمَرُوهُمْ بالأَحْكَامِ البَاطِلَةِ في الأُصُولِ والفُرُوعِ، وَفِي المَنْهَجِ والدَّعْوَةِ، فَأَطَاعُوهُمْ، **فَسَمَّاهُمُ اللهُ بِذَلِكَ أَرْبَابًا**، اللَّهُمَّ غُفْراً.

وانظر: «جَامِعَ البَيَانِ» لابنِ جَرِيرٍ (ج١٠ ص١١٥).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفَتَاوَىٰ» (ج٧ ص٧٠): (وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ وَعَكْسُهُ). اهـ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

(٢) **قلتُ**: فَطَاعَةُ: «**الرَّأْسِ الضَّالِّ**» في مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عِبَادَةٌ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، لاَ سِيَّمَا في الفَتَاوَىٰ البَاطِلَةِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْهُ في الدِّينِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

=

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

قلتُ: فَيُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ اليَهُودِ: أَنَّ مِنْهُمْ فَرِيقًا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ويُزِيلُونَهُ عَنِ المُرَادِ بِهِ، لِيُوهِمُوا الجَهَلَةَ؛ أَنَّهُمْ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ كَذَلِكَ، وَيُنْسِبُونَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ كَذِبٌ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِهَذَا الكَذِبِ، واللهُ المُسْتَعَانُ.

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَمْدَانِ ﷺ فِي «الدُّرِّ النَّضِيدِ» (ص٢٤٦): (وَفِي الحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ طَاعَةَ الأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ: عِبَادَةٌ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ

وَقَالَ الشَّيْخُ العَلاَّمَةُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ آل الشَّيْخِ ﷺ فِي «تَيْسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ» (ص١٠٩٤): (قَوْلُهُ ﷺ: **(أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ...)**؛ إِلَىٰ آخِرِهِ: صَرَّحَ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ بِأَنَّ عِبَادَةَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ هِيَ طَاعَتُهُمْ فِي تَحْرِيمِ الحَلاَلِ، وتَحْلِيلِ الحَرَامِ، وَهُوَ طَاعَتُهُمْ فِي خِلاَفِ حُكْمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَسُولِهِ ﷺ). اهـ

=

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ آلِ الشَّيْخِ ﷺ فِي «تَيْسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ» (ج٢ ص١٠٩٨): (فَيُحَسِّنُونَ لَهُمْ البِدَعِ، والشِّرْكِ فَيُطِيعُونَهُمْ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ مُصْلِحُونَ: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]). اهـ

(١) وانظر: «المُلَخَّصَ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الفَوْزَانَ (ص٢٩٩ و٣٠٠)، و«الدُّرّ النَّضِيدَ عَلَىٰ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الحَمْدان (ص٢٤٦).

قلتُ: فَكَيْفَ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ: إِذَا أَمَرُوهُمْ بشَيْءٍ ائْتَمَرُوا، وإِذَا نَهُووهُمْ عَنْ شَيْءٍ انْتَهَوْا لِقَوْلِهِم، وَهُمْ يَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللهِ مَا أُمِرُوا بِهِ وَمَا نُهُوا عَنْهُ، فَقَلَّدُوا الرِّجَالَ، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَحَصَلَ لَهُمْ الوِزْرُ[1]: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

قَالَ الإِمَامُ مُقَاتِلُ بنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص١٦٧): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]؛ يَعْنِي: أَطَاعُوهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ). اهـ

قلتُ: هَؤُلاَءِ لَمْ يَأْمُرُوهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُمْ، وَلَكِنْ أَمَرُوهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ[2]، وأَمَرُوهُمْ بِمُخَالَفَةِ الكِتَابِ، فَأَطَاعُوهُمْ فِي التَّقْلِيدِ الأَعْمَىٰ، فَسَمَّاهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ: «**أَرْبَابًا**»، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر: ٢]؛ فَهَدَمُوا بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وَقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

---

(١) وانظر: «جَامِعَ البَيَانِ» للطَّبَرِيِّ (ج١٠ ص١٤٤).

(٢) **وَمَعْنَاهُ**: أَنَّ اعْتِقَادَهُمْ، وإِيمَانَهُمْ بِحُرْمَةِ تَحْرِيمِ الحَلاَلِ، وَتَحْلِيلِ الحَرَامِ: ثَابِتٌ، وَمُسْتَقِرٌّ؛ إِلاَّ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَهُمْ فِي المَعْصِيَةِ دُونَ الاعْتِقَادِ بِحُرْمَةِ الحَلاَلِ، وَحَلِّ الحَرَامِ.

وانظر: «الفَتَاوَىٰ»؛ كِتَابُ: «الإِيمَانِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ (ج٧ ص٧٠ و٧١).

قَالَ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «بَحْرِ العُلُومِ» (ج٢ ص٥٣): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]؛ يَعْنِي: أَهْلَ الصَّوَامِعِ، والمُتَعَبِّدِينَ مِنْهُمْ. أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، يَعْنِي: اتَّخَذُوهُم كالأَرْبَابِ يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ). اهـ

وَقَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٨٣): (فَسَمَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ اتِّبَاعَ مِنْ دُونِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّحْلِيلِ، والتَّحْرِيمِ عِبَادَةً، وَكُلُّ مَنْ قَلَّدَ مُفْتِيًا يُخْطِئُ، وَيُصِيبُ فَلاَ بُدَّ لَهُ ضَرُورَةً مِنْ أَنْ يُسْتَحِلَّ حَرَامًا، ويُحَرِّمَ حَلاَلاً، وبُرْهَانُ ذَلِكَ تَحْرِيمُ بَعْضِهِمْ مَا يُحِلُّهُ سَائِرُهُمْ، ولابُدَّ أَنَّ أَحَدَهُمْ مُخْطِئٌ، **أَفَلَيْسَ مِنَ العَجَبِ**: إِضْرَابُ المَرْءُ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَمَرَهُ خَالِقُهُ بِسُلُوكِهَا، وَضَمِنَ لَهُ بَيَانَ نَهْجِ الصَّوَابِ فِيهَا، وَأَمَرهُ أَنْ يَكُونَ هَمُّه نَفْسَهُ لاَ مَا سِوَاهَا؛ فَيَتْرُكُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيَقْصِدُ إِلَىٰ طَرِيقٍ لَمْ يُؤَمَرُ بِسُلُوكِهَا، وَلاَ ضَمِنَ لَهُ نَهْجَ الصَّوابِ فِيهَا). اهـ

وَقَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٩١): (هَذِهِ صِفَةُ المُقَلِّدِينَ: لاَ يُحَرِّمُونَ إِلاَّ مَا جَاءَ عَنْ صَاحِبِهِمْ تَحْرِيمُهُ، وَلاَ يُحِلُّونَ إِلاَّ مَا جَاءَهُمْ عَنْ صَاحِبِهِمْ تَحْلِيلهُ نَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ مِثْلِ هَذَا الاعْتِقَادِ). اهـ

قلتُ: فَنَازَعُوا اللهَ تَعَالَىٰ فِي شَرْعِهِ، وأَحْكَامِهِ، وَدِينِهِ؛ فَكَانُوا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

وَهَذَا النَّصُّ وَاضِحِ الدَّلاَلَةِ: لَمْ يَتَّخِذُوا الأَحْبَارَ، والرُّهْبَانَ أَرْبَابًا؛ بِمَعْنَىٰ: الاعْتِقَادِ بِأُلُوهِيَّتِهِمْ، لَكِنْ أَطَاعُوهُمْ فِي أَوَامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ، فَتَنَبَّهْ: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

قلتُ: وَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ؛ لأَنَّهُمْ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ.

وَهَذَا الَّذِي وَقَعَ فِيهِ أَتْبَاعُ: «**عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ الخَالِقِ**» تَمَاماً، وَإِلَىٰ الآنَ، لَمْ يَتُوبُوا، وَلَنْ يَتُوبُوا بِسَبَبِ الهَوَىٰ المُضِلِ، والأَمْوَالِ الَّتِي بَأَيْدِهِمْ بِسَبَبِ حُبِّ الدُّنْيَا، واللهُ المُسْتَعَانُ.(١)

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ حَسَنٍ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتْحِ المَجِيدِ» (ج٢ ص٦٥٣): (قَوْلُهُ: «**عَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ**»؛ أَيْ: الطَّائِيِّ المَشْهُورِ.

وَفِي الحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ طَاعَةَ الأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ: عِبَادَةٌ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، **وَمِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ الَّذِي لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ وَيُظْهِرُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَهَذَا قَدْ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَعَ مَنْ قَلَّدُوهُمْ، لِعَدَمِ اعْتِبَارِهِمْ الدَّلِيلَ إِذَا خَالَفَ المُقَلَّدَ، **وَهُوَ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ**.

---

(١) وانظر: «فَتْحَ البَيَانِ فِي مَقَاصِدِ القرآن» للشَّيْخِ صَدِيقِ حَسَنِ خَان (ج٤ ص١١٧)، و«القَوْلَ المُفِيدِ» لشَيْخِنَا ابنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص٢٦٤)، و«فَتْحَ المَجِيدِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آل الشَّيْخِ (ج١ ص٢١٠)، و«إِعَانَةَ المُسْتَفِيدِ» للشَّيْخِ الفَوْزَانِ (ج٢ ص١٥٩)، و«شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ ابنِ بَازٍ (ص٥٥)، و«التَّوْحِيدَ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ (ص١١١)، و«الإِيمَانَ» لابنِ تَيْمِيَّةَ (ص٦٦)، و«السُّنَنَ» للتِّرْمِذِيِّ (ج٥ ص٢٨٧).

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلُو فِي ذَلِكَ واعْتَقَدَ أَنَّ الأَخْذَ بالدَّلِيلِ - والحَالَةُ هَذِهِ - يُكْرَهُ، أَوْ يُحْرَمُ؛ فَعَظُمَتِ الفِتْنَةِ. وَيَقُولُ: هُمْ أَعْلَمُ مِنَّا بالأَدَلَّةِ، وَلاَ يَأْخُذَ بالدَّلِيلِ إِلاَّ المُجْتَهِدُ. وَرُبَّمَا تَفَوَّهُوا بِذَمِّ مَنْ يَعْمَلُ بالدَّلِيلِ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ هَذَا مِنْ غُرْبَةِ الإِسْلاَمِ). اهـ

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَمْدَانِ رحمه الله **في «الدُّرِّ النَّضِيدِ» (ص٢٤٥)**: (**وَفِي الحَدِيثِ**: دَلِيلٌ عَلَىٰ طَاعَةِ الأَحْبَارِ، والرُّهْبَانِ: فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَبَدَةٌ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ الَّذِي لاَ يُغْفِرُهُ اللهُ تَعَالَىٰ). اهـ

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانُ فِي «المُلَخَّصِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص٣٠٠): (**مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الحَدِيثِ**: بَيَانٌ لِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ: وَهُوَ شِرْكُ الطَّاعَةِ). اهـ

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ آلُ الشَّيْخِ رحمه الله **فِي «تَيْسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ» (ص١٠٩٣)**: (قَوْلُهُ: **فَقُلْتُ لَهُ: أَنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ**؛ ظَنّ عَدِيٌّ رضي الله عنه؛ أَنَّ الْعِبَادَةَ المرادُ: بِهَا التَّقَرُّبُ إِلَيْهِم بِأنوَاعِ العِبَادَةِ؛ مِنْ السُّجُودِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، **فَقَال: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ**). اهـ

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ آلُ الشَّيْخِ رحمه الله **فِي «تَيْسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ» (ج٢ ص١٠٩٨)**: (قَوْلُهُ: (وعُبِدَ بالمَعْنَىٰ الثَّانِي، مِنْ هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ)؛ وَذَلِكَ: كَاعْتِقَادِهِمْ العِلْمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ جَهَلَةِ المُقَلِّدِينَ، فَيُحَسِّنُونَ لَهُمْ البِدَعَ، والشِّرْكَ؛ فَيُطِيعُونَهُمْ، ويَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ مُصْلِحُونَ: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]). اهـ

قلتُ: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يَلُوذُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ، ويُدْبِرُونَ عَنِ الدِّينِ مُعْرِضِينَ، فَيُصِيبُهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا عَذَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ مُوجِعٌ: عَلَىٰ خِلاَفِهِمْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيُطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فَلاَ يُومَنُ أَنْ يُظْهِرُوا الضَّلاَلاَتِ فِي أَقْوَالِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ حَسَنٍ آلُ الشَّيْخِ رحمه الله في «فَتْحِ المَجِيدِ» (ج٢ ص٦٤٩): (وَلاَ يُخَالِفُ فِي ذَلِكَ إِلاَّ جُهَّالُ المُقَلِّدَةِ(٢)، لجَهْلِهِمْ بالكِتَابِ،

---

(١) وانظر: «فَتْحَ المَجِيدِ لِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَن آلِ الشَّيْخِ (ج٢ ص٦٤٧ و٦٥٢)، «جَامِعَ البَيَانِ» للطَّبَرِيِّ (ج١٨ ص١٧٨)، و«تَيْسِيرَ العَزِيزِ الحَمِيدِ في شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ سُلَيْمَانَ آلِ الشَّيْخِ (ج٢ ص١١٠٤ و١١٠٥).

(٢) **والتُّرَاثِيُّونَ الحِزْبِيُّونَ**: هُمْ الدُّعَاةُ إِلَىٰ الآرَاءِ البَاطِلَةِ، والتَّحَاكُمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَيْهَا، بَلْ وَزَيَّنُوا هَذِهِ الأَحْكَامَ البَاطِلَةَ لِغَيْرِهِمْ مِنَ السَفِلَةِ الجَهَلَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ جَهتِهِمْ في البُلْدَانِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَهَذَا يُنَافِي التَّوْحِيدَ، ويُنَافِي الإِيمَان: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

=

والسُّنَّةِ، وَرَغْبَتُهُمْ عَنْهُمَا، وَهَؤُلاَءِ: وإنْ ظَنُّوا أَنَّهُم قَدِ اتَّبَعُوا الأَئِمَّةَ؛ فَإِنَّهُمْ في الحَقِيقَةِ قَدْ خَالَفُوهُمْ، واتَّبَعُوا غَيْرَ سَبِيلِهِمْ). اهـ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

=

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

فَتَبًّا لَهُمْ سَدُّوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بَابَ العِلْمِ، وَفَتَحُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الجَهْلِ، وَقَابَلُوا دِينَ اللهِ تَعَالَىٰ بالإعْرَاضِ، وأَمْرَهُ بالعِصْيَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

قلتُ: فَاتَّحَاكُمُ إِلَىٰ غَيْرِ حُكْمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَغَيْرِ حُكْمِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ مَنْهَجِ المَنَافِقِينَ، وَهُوَ الفَسَادُ فِي الأَرْضِ.(١)

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رحمه الله في «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٦٩): (وَظَنَّ قَوْمٌ: **أَنَّهُمْ تَخَلَّصُوا مِنَ التَّقْلِيدِ بِوَجْهٍ بِهِ تَحَقَّقُوا بِالدُّخُولِ فِيهِ، وَتَوَسّطُوا عُنْصِرَهُ**... فَإِنْ كَانَتْ آيَةً، أَوْ حَدِيثًا؛ تَأَوَّلُوا: فِيهَا التَّأَوِيلاَتِ البَعِيدَةِ، وَحَرَّفُوهُمَا عَنْ مَوَاضِعِهِمَا؛ فَدَخَلُوا: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]؛ فَإِنْ أَعْيَاهُمْ ذَلِكَ؛ قَالُوا هَذَا خُصُوصٌ، وَهَذَا مَتْرُوكٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ العَمَلُ). اهـ

وقَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رحمه الله في «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٦٩): (**التَّقْلِيدُ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ**: إِنَّمَا هُوَ قَبُولُ مَا قَالَهُ قَائِلٌ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ: بِغَيْرِ بُرْهَانٍ). اهـ

وقَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رحمه الله في «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٧١): (**والعَجَبُ**: أَنَّهُمْ يَنْسُونَ التَّقْلِيدَ، **وَيَقُولُونَ**: إِنَّ المُقَلِّدَ عَاصٍ للهِ تَعَالَىٰ، **وَيَقُولُونَ**: لاَ يَجُوزُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ

---

(١) فَكَيْفَ لاَ يُمَيِّزُ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بَيْنَ دِينٍ أُسِّسَ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَبَيْنَ دِينٍ أُسِّسَ عَلَىٰ آرَاءِ الرِّجَالِ؛ بَلْ أُسِّسَ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، فَانْهَارَ بِصَاحِبِهِ فِي النَّارِ، والعِيَاذُ باللهُ.

قلتُ: فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا: فَهُوَ مَيِّتٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ فَسَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الخَالِي عَنِ الهَدْيِ مَيِّتًا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

أَحَدٍ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ، **وَيَقُولُونَ**: لَيسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِلاَّ وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَعَ هَذَا لاَ يُفَارِقُونَ قَوْلَ صَاحِبِهِمْ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ). اهـ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٧٢]؛ فَدَلَّتِ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ فَسَادٌ فِي الأَرْضِ[١]، لَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾.

قَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانَ فِي «المُلخّصِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص٣٠٥): (المَعَاصِي إِفْسَادٌ فِي الأَرْضِ). اهـ

قلتُ: وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ الخَالِقِ وأَتْبَاعُهُ؛ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ حُكْمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَحُكْمِ رَسُولِهِ ﷺ، وَحُكْمِ الصَّحَابَةِ ﷺ: رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الحُكْمِ المُنَزَّلِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ صُدُوداً، **وَيَصُدُّونَ؛ بِمَعْنَىٰ**: يُعْرِضُونَ؛ لأَنَّ مَصْدَرَهُ: صُدُوداً، وَمَا أَكْثَرُ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذَا الوَصْفِ؛ خُصُوصاً مِمَّنْ يَدَّعِي العِلْمَ[٢]؛ فَإِنَّهُمْ صَدُّوا عَمَّا تُوجِبُهُ الأَدِلَّةُ مِنَ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، والأَثَرِ[٣] إِلَىٰ آرَاءِ رُؤُوسِ الضَّلاَلَةِ مِمَّنْ يُخْطِئُ كَثِيراً، وَيُصِيبُ

---

(١) وانظر: «فَتْحَ المَجِيدِ لِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَنِ آلِ الشَّيْخِ (ج٢ ص٦٥٩)، «الدُّرَّ النَّضِيدَ عَلَىٰ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الحَمْدَان (ص٢٤٩)، و«تَيْسِيرَ العَزِيزِ الحَمِيدِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ سُلَيْمَانَ آلِ الشَّيْخِ (ص١١١٧).

(٢) مِثْلُ: «**عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ الخَالِقِ**»، وأَتْبَاعِهِ الجَهَلَةِ.

(٣) فَبِاللهِ صِفْ لِي حَالَ أَحْوَالِ: «**أَحْبَارِ اليَهُودِ**»، و«**رُهْبَانِ النَّصَارَىٰ**»: الَّذِينَ خَالَفُوا أَحْكَامَ اللهِ تَعَالَىٰ، هَلْ هِيَ بِعَيْنِهَا إِلاَّ هِيَ أَفْعَالُ: «**عَبْدِ الرَّحْمَنِ وأَتْبَاعِهِ!**».

قَلِيلاً، ولاَبدَّ[1]، فَتَدَبَّرَ تَجِدُ ذَلِكَ فِي حَالِ الأَكْثَرِ: ﴿وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قلتُ: وَهَذَا فِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الاغْتِرَارِ بآرَاءِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ والبِدَعِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهَا بالدَّعَاوَىٰ الفَارِغَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]؛ فالمبتدع لا يهوىٰ شيئًا إلاّ ركبه!.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصافات: ١٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٣ ص١٢٣): (يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَىٰ: عَلَىٰ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللهِ المُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ: عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ

---

(١) وَهَذَا مِنَ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ، وَيَترتبُ عَلَيْهِ مِنَ الفَسَادِ العَرِيضِ الَّذِي يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنَ الحَقِّ، ويُدْخِلُهُ فِي البَاطِلِ، ولابُدَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وانظر: «بَدَائِعَ الفَوَائِدِ» لابنِ القَيِّمِ (ج٣ ص١٧)، «المُلَخَّصَ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الفَوْزَانَ (ص٣٠٤ و٣٠٥)، و«الدُّرَّ النَّضِيدَ عَلَىٰ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الحَمْدَانَ (ص٢٤٩).

شَرٍّ؛ وَعَدْلٍ إِلَىٰ مَا سِوَاهُ **مِنَ الْآرَاءِ، وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ؛ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ**). اهـ

وَقَالَ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانُ فِي «المُلَخَّصِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص٣٠٤): (**اللهُ تَعَالَىٰ يَذْكُرُ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ؛ أَنَّهُمْ**: إِذَا نُهُوا عَنِ ارْتِكَابِ المَعَاصِي الَّتِي تُسَبِّبُ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ: بِحُلُولِ العُقُوبَاتِ، وَأُمِرُوا بالطَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا صَلاَحُ الأَرْضِ؛ **أَجَابُوا**: بَأَنَّ شَأْنَنَا الإِصْلَاحُ؛ **لأَنَّهُمْ: تَصَوَّرُوا الفَسَادَ بِصُورَةِ الصَّلاَحِ: لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ المَرَضِ**). اهـ

وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٣٠٥): (هَذه الْآيَة: ذَامَّةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ[1]، وَهُوَ الْمُرَادُ: بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا). اهـ

وَقَالَ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانُ فِي «المُلَخَّصِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص٣٠٧): (مَا خَالَفَ شَرْعَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَهُوَ مِنْ حُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ). اهـ

---

(١) فـ: «**المُتَنَصِّبَةُ**»، وأَتْبَاعُهُم يَتَحَاكَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بالآرَاءِ البَاطِلَةِ فِي الفَتَاوَىٰ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْهُمْ فِي دَعْوَتِهِمْ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وانظر: «المُلَخَّصَ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الفَوْزَانَ (ص٣٠٠ و٣٠٣)، و«الدّر النَّضِيدَ عَلَىٰ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ الحَمْدَانَ (ص٢٥٠)، و«تَيْسِيرَ العَزِيزِ الحَمِيدِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» للشَّيْخِ سُلَيْمَانَ آلِ الشَّيْخِ (ص١١١٩).

وَقَالَ العَلاَّمَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانُ فِي «المُلَخَّصِ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص٣٠٧): (**الجَاهِلِيَّةُ**: مَا كَانَ قَبْلَ الإِسْلاَمِ: وَكُلُّ مَا خَالَفَ الإِسْلاَمَ؛ فَهُوَ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ). اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الفَتَاوىٰ» (ج١٨ ص٥١): (فَكَمَا أَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ أَدِلَّةَ الْأَحْكَامِ لَا يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ، فَمَنْ لَا يَعْرِفُ طُرُقَ الْعِلْمِ بِصِحَّةِ الْحَدِيثِ لَا يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ، بَلْ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ لَيْسَ بِعَالِمٍ أَنْ يَتْبَعَ إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِلْمِ). اهـ

قلتُ: فَلَا يُعْتَدُّ بِفَتَاوَىٰ أَهْلِ التَّسَاهُلِ فِي الدِّينِ، مِمَّنْ عَدَّهُمْ العَوَامُّ مِنْ العُلَماءِ فِي الدِّينِ، لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي الأَحْكَامِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلِذَلِكَ يَتَنَاقَضُونَ فِي الفَتَاوَىٰ عَلَىٰ حَسْبِ جَهْلِهِمْ فِي الدِّينِ.(١)

قالَ العَلاَّمَةُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «المُوافَقَاتِ» (ج٤ ص٦٢): (الشَّرِيعَةُ كُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَىٰ قَوْلٍ وَاحِدٍ فِي فُرُوعِهَا، وَإِنْ كَثُرَ الْخِلَافُ؛ كَمَا أَنَّهَا فِي أُصُولِهَا كَذَلِكَ، وَلَا يَصْلُحُ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ). اهـ

فَيَحْرُمُ تَقْلِيدُ المُتَعَالِمِ الجَاهِلِ مُطْلَقًا، لِأَنَّ الجَهْلَ ضِدُّ العِلْمِ، وَالجَاهِلُ غَيْرُ العَالِمِ، وَقَدْ صَرَّحَ أَهْلُ العِلْمِ بِمَنْعِ الجَاهِلِ مِنَ الفَتْوَىٰ، وَمَنْعِ المُسْلِمِ مِنْ تَقْلِيدِهِ فِي الدِّينِ.(٢)

---

(١) **قلتُ**: فَالشَّرِيعَةُ لَيْسَ فِيهَا أَيُّ تَنَاقُضٍ فِي الأَحْكَامِ، وَلَا يَصْلُحُ فِيهَا ذَلِكَ.

(٢) انظر: «رَوْضَةَ النَّاظِرِ» لِابْنِ قُدامَةَ (ج٢ ص٣٨٤)، و«المَدْخَلَ لِمَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» لابنِ بَدْرَانَ (ص٣٩٠)، و«الذَّخِيرَةَ» للقَرَافِيِّ (ج١ ص١٤٠)، و«فَوَاتِحَ الرَّحمُوت» للأنْصَارِيّ (ج٢ ص٤٠٢)، و«التَّقْلِيدَ» للشِّنْقِيطِيِّ (ص١٢٩).

وَقَدْ أَجْمَعَتِ الأُمَّةِ عَلَىٰ مَنْعِ تَقْلِيدِ الجَاهِلِ مُطْلَقًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَضْيِيعٌ لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ المُطَهَّرَةِ، وَمِنْ شُرُوطِ التَّقْلِيدِ كَوْنُ المُقَلِّدُ مُجْتَهِدًا فِي مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ أَحْيَانًا، وَهَذَا الشَّرْطُ مَمْنُوعٌ هُنَا.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

قَالَ شَيْخُنَا العَلاَّمَةُ مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِ الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ» (ج١ ص١٨٢): (البَلَاءُ كُلُّ البَلَاءِ مِنْ الجَاهِلِ[1] جَهْلًا مُرَكَّبًا؛ الَّذِي يُجَادِلُكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بَيْنَ العَامَّةِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ مَعَ العُلَمَاءِ بِالمُجَادَلَةِ بِغَيْرِ عِلْمٍ). اهـ

١٨) وعَنِ الإِمَامِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ[2]، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ).

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ أَبُو الْفَتْحِ الْمَقْدِسِيُّ فِي «الحُجَّةِ» (٥٧٧)، وعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ»؛ «زِيَادَاتُ» نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ (ص١٨)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْمَدْخَلِ إِلَىٰ عِلْمِ السُّنَنِ» (١٦٥١)، وَفِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» (ج٢ ص٣٠٨)، و(ج٧ وص٣٦)، وأَحْمَدُ فِي «العِلَلِ»

---

(١) مِثْلُ: «**المُقَلِّدِ**»، وغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الجَهْلِ المُرَكَّبِ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

قَالَ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ صَالِحُ بنُ فَوْزَانَ الفَوْزَانُ حَفِظَهُ اللهُ فِي «البَيَانِ» (ص١٢): (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِلَا عِلْمٍ؛ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الضَّلَالِ). اهـ

(٢) **قلتُ**: وَلَا شَكَّ أَنَّ فِتْنَةَ هَؤُلَاءِ فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ.

فَإِنَّ النَّاسَ يَتَشَبَّهُونَ بِهَؤُلَاء لِمَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ؛ فَهُمْ حُجَّةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ.

(ج٣ ص١١٨)، وَالْآجُرِّيُّ فِي «مَسْأَلَةِ الطَّائِفِينَ» (ص٢٦)، وَفِي «أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ» (ص٦١)، وَفِي «فَرْضِ طَلَبِ الْعِلْمِ» (٣٩)، وَابنُ عَبْدِ البرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعَلْمِ» (ج١ ص١٩٢)، وأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ» (ج٦ ص٣٧٧)، و(ج٧ ص٣٦) مِنْ طُرُقٍ عَنِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِهِ.

قلتُ: وهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ» (ج١ ص٣٥١).

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَتْحِ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْحُجَّةِ» (ج٢ ص٥٧٠)؛ بَابُ: التَّحْذِيرِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ؛ مِمَّنْ تَرَكَ كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَاعْتَمَدَ عَلَىٰ رَأْيِهِ، وَجَلَبَ النَّاسَ بِمَنْطِقِهِ، وَتَزَيَّنَ لَهُمْ بِعِلْمِهِ وَزُهْدِهِ، وَتَصَنَّعَ بِقِرَاءَتِهِ وَتَعَبُّدِهِ؛ وَمَا يَصُدُّونَ بِذَلِكَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَقْطَعُونَ عَنِ الْخَيْرِ، وَيَمْنَعُونَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ.

وعَنِ الْإِمَامِ عَبْدِاللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (كَانَ يُقَالُ: تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ؛ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ).[1]

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (ج١ ص١٦٠): (النَّاسُ إِنَّمَا يَقْتَدُونَ بعُلَمائِهِمْ وعُبَّادِهِمْ فَإِذا كَانَ الْعُلَمَاءُ فَجَرَةٌ وَالْعُبَّادُ جَهَلَةٌ عَمَّتِ الْمُصِيبَةُ بِهِمَا وَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ عَلَىٰ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ). اهـ

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ**.

أَخْرَجَهُ ابنُ عبد البرَّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعَلْمِ» (ج١ ص٦٦٦) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ زُهَيْرٍ نا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُقَاتِلِ نا ابْنُ الْمُبَارَكِ بِهِ.

قلتُ: وهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ» (ج١ ص١٦٠): (وَمَنْ تَأَمَّلَ الْفَسَادَ الدَّاخِلَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ، وَجَدَهُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَفْتُونَيْنِ).[1] **اهـ**

١٩) وَعَنِ الْإِمَامِ الشَّعْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (اتَّقُوا الْفَاجِرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْجَاهِلَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ؛ فَإِنَّهُمَا آفَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ).[2]

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَقِفَ مَعَ الْحُجَّةِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، تَارِكِينَ التَّعَصُّبَ لِلرِّجَالِ، نَسِيرُ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَ سَارَتْ رَكَائِبُهُ، وَنَسْتَقِلُّ مَعَ الصَّوَابِ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهُ.

إِذَا بَدَا لَنَا الدَّلِيلُ أَخَذْنَا بِهِ، وَطِرْنَا إِلَيْهِ، وَإِذَا دَعَانَا الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ أَمْرٍ انْقَدْنَا إِلَيْهِ، وَعَوَّلْنَا فِي أَحْكَامِ دِينِنَا عَلَيْهِ؛ فَنُصُوصُهُ أَجَلُّ فِي صُدُورَنَا، وَأَعْظَمُ فِي نُفُوسِنَا، مِنْ أَنَّ نُقَدِّمَ عَلَيْهَا قَوْلَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ نُعَارِضَهَا بِرَأْيٍ، أَوْ قِيَاسٍ.[3]

---

(١) **يَعْنِي**: الْعَالِمَ الْمَفْتُون، وَالْجَاهِلَ الْمَفْتُون.

(٢) **أثرٌ حسنٌ**.

أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الْمَدْخَلِ إِلَىٰ عِلْمِ السُّنَنِ» (١٦٥٠)، وفي «شُعَبِ الإِيمَانِ» (ج٣ ص٣١٥)، والمِزِّيُّ في «تَهْذِيبِ الكَمَال» (ج١٤ ص٣٦) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ بْنِ هَارُونَ الْبُرْجُمِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نَشْرٍ قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ بِهِ.

قلتُ: وهَذَا سَنَدُهُ حسنٌ.

وانظر: «الإِكْمَالَ» لابنِ مَاكُولا (ج١ ص٢٧٦).

(٣) وَانْظُر: «إِعْلَامَ المُوقِعِينَ» لابنِ القَيِّم (ص٦٩ و٧٠).

هَذَا؛ وَقَدْ وَجَدْنَا بالسَّبْرِ، وَالتَّتَبُّعِ لِأَحْوَالِ الْخَلْقِ: أَنَّ الْخِلَافَ قَلَّمَا يَنْجُوَ مِنْ غَوَائِلِهِ مَنْ سَارَ عَلَيْهِ، وَاتَّخَذَهُ طَرِيقًا، وَنَدَرَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ مَغَبَّتِهِ مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَنَزُرَ وَرَعُهُ.

إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُولَعُ بِالْخِلَافِ أَبَدًا؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ ليَرَىٰ أَنَّ أَفْضَلَ الْأُمُورِ: أَنْ لَا يُوَافِقَ أَحَدًا عَلَىٰ قَوْلٍ، وَلَا يُجَامِعَهُ عَلَىٰ رَأْيٍ، وَلَا يُوَاتِيَهُ عَلَىٰ مَحَبَّةٍ.

وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ عَادَتَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُبْصِرُ الْحَقَّ، وَلَا يَنْصُرُه، وَلَا يَعْتَقِدُهُ دِينًا، وَمَذْهَبًا، إِنَّمَا يَتَعَصَّبُ لِرَأْيِهِ، وَيَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَيَسْعَىٰ فِي مَرْضَاتِهَا؛ حَتَّىٰ إِنَّكَ لَوْ رُمْتَ أَنْ تُرْضِيَهُ، وَتَوَخَّيْتَ: أَنْ تُوَافِقَهُ عَلَىٰ الرَّأْيِ الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَيْهِ، تَعَمَّدَ لِخِلَافِكَ فِيهِ، وَلَمْ يَرْضَ بِهِ حَتَّىٰ يَنْتَقِلَ إِلَىٰ نَقِيضِ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ، فَإِنْ عُدْتَ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ وَفَاقِهِ، عَادَ فِيهِ إِلَىٰ خِلَافِكَ.

فَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْحَالِ: فَعَلَىٰ اللَّبِيبِ مُبَاعَدَتُهُ وَالنِّفَارُ عَنْ قُرْبِهِ؛ فَإِنَّ رِضَاهُ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ.[1]

فَالْمَرْءُ قَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ طَبْعُهُ، وَتُسَيْطِرُ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَتُحْدِقُ بِهِ حُظُوظُهُ؛ فَلَا يَرَىٰ الْحَقّ إِلَّا مَعَهُ، وَلَا يُبْصِرُ الصّوَابَ إلّا فِي رَأْيِ إمَامِهِ وَمَتْبُوعِهِ، فَيَدْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَىٰ مُجَاوَزَةِ الْحَدِّ، وَمُجَانَبَةِ الصَّوَابِ، حَتَّىٰ يَنْأَىٰ بِهِ عَنْ حُدُودِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ.

بَلْ رُبَّمَا دَفَعَهُ ذَلِكَ إِلَىٰ الِاجْتِرَاءَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْوَضْعِ، أَوْ ذِكْرِ الضَّعِيفِ مِنْ الْحَدِيثِ، وَلَيْسَ هَذَا بمُسْتَغْرَبٍ عَلَيْهِ؛ فَإِنّ الْعَصَبِيَّةَ تَفْعَلُ بِصَاحِبِهَا الْأَفَاعِيلَ.

---

(١) وَانْظُر: «العُزْلَة» للخَطَّابِيِّ (ص٦٩ و٧٠).

وَقَدْ صَحَّ بِهَذَا الْخَبَرُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ.

فَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ أَعَانَ قَوْمَهُ عَلَىٰ ظُلْمٍ، فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الْمُتَرَدِّي يَنْزِعُ بِذَنَبِهِ).

حَدِيثٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ فِي «سُنَنِهِ» (٥١١٨)، والطَّيالِسِيُّ فِي «المُسْنَدِ» (٣٤٤)، والبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبرىٰ» (ج١٠ ص٢٣٤)، وأَبُو يَعْلَىٰ فِي «المُسْنَدِ» (٥٣٠٤)، وابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٥٩٤٢)، والرَّامَهُرْمُزِيُّ فِي «أَمْثَالِ الحَدِيثِ» (ص١٠٥)، وأَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» (ج١ ص٣٩٣ و٤٠١ و٤٤٩) مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَإِسْرَائِيلَ بْنِ يُونُسَ، وَغَيْرِهِم؛ كُلُّهُمْ: عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ، وَقَدْ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٣٨٣).

وأَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ فِي «سُنَنِهِ» (٥١١٧)، وأَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» (٣٧٢٦)، والبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبرىٰ» (ج١٠ ص٢٣٤) مِنْ طَرِيقِ زُهَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ بِهِ مَوْقُوفًا.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ مِنْ أَعَانَ قَوْمَهُ، أَوْ غَيْرِهِمْ عَلَىٰ بَاطِلٍ، أَوْ مَشْكُوكٍ فِيهِ: غَيْرِ مُتَيَقَّنٍ مِنْهُ، فَقَدْ وَقَعَ فِي الْإِثْمِ وَهَلَكَ؛ كَالْبَعِيرِ إِذَا تَرَدَّىٰ فِي بِئْرٍ؛ فَصَارَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ خَلَاصِهِ.(١)

وَأَيُّ ظُلْمٍ مِنْ الْمَرْءِ لِدِينِه، وَلِرَسُولِه ﷺ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلِلنَّفْسِ، أَعْظَمُ مِنْ نُصْرَةِ غَيْرِ الْحَقِّ، أَوْ الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ مِنْ يَدْعُو إِلَيْهِ، أَو الانْحِيازِ إِلَىٰ مَنْ يَتَلَبَّسُ بِثِيَابِ الْبَاطِلِ، وَالظُّلْمِ، وَالْكَذِبِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» (ج٤ ص٢٩٩): (إِنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ حُبِّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَىٰ حُبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهَدُوا.

---

(١) وانظر: «النِّهايـة في غَرِيـبِ الحَـدِيثِ» لابـنِ الأَثِيـرِ (ج٢ ص٢١٦)، و«مِرْقَـاةَ الْمَفَـاتِيحِ» للقَـارِي (ج٩ ص١٢٨).

قُلْتُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ فَمَثَلٌ فِي ذَمِّ الْحَمِيَّة، وَالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْعَصَبِيَّةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

بَلْ حُبِّ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ؛ مِثْلَ: الشَّافِعِيِّ، وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَغَيْرِهِمْ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُجَاوِزُ بِهِ حُبُّهُ لِصَاحِبِ مَذْهَبِهِ حَدِّ الْعِشْقِ فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ يُنْفِقَ جَمِيعَ مَالِهِ فِي نُصْرَةِ مَذْهَبِهِ، وَالذَّبِّ عَنْهُ، وَيُخَاطِرُ بِرُوحِهِ فِي قِتَالِ مَنْ يَطْعَنُ فِي إِمَامِهِ وَمَتْبُوعِهِ؛ فَكَمْ مِنْ دَمٍ أُرِيقَ فِي نُصْرَةِ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ). اهـ

هَذَا؛ وَكَثِيرًا مَا تَكُونُ الْخِلَافَاتُ ظَاهِرُهَا اخْتِلَافَاتٌ فِي مَسَائِلَ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ قَضَايَا فِكْرِيَّةٍ، أَوْ طُرُقٍ تَطْبِيقِيَّةٍ.

وَبَاطِنُهَا حَظُّ النَّفْسِ، وَحُبُّ الذَّاتِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَىٰ الَّذِي يُعْمِي وَيُصِمُّ، لَكِنَّهَا تُكْسَىٰ لِبَاسَ الْحِرْصِ عَلَىٰ إِظْهَارِ الْحَقِّ؛ وَالْحِرْصِ عَلَىٰ الْعِلْمِ، وَمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدِقُّ وَيَخْفَىٰ عَلَىٰ الْعَامَّةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قُلْتُ: وَهَذَا الْمُتعالِمُ الْمَفْتُون مَادَامَ عَلَىٰ هَذَا الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَهُوَ مُخاصِمٌ، ومُمَارِي، وَمُحْدِثٌ بِالْبَاطِلِ.

وَأَيُّهَا الْمُتَعالِمُ لَا تَزَالُ ظَالِمًا مَا كُنْتَ مُخَاصِمًا حَاقِداً، وَلَا تَزَالُ آثِمًا مَا كُنْتَ مُمَارِيًا عَصَبِيًا، وَلَا تَزَالُ كَاذِبًا مَا كُنْتَ مُحْدِثًا مفتريًّا.

فَعَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا[1] مُمَارِيًا[2] مُعْجِبًا بِرَايِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ).

---

(١) اللَّجُوجُ: مِنَ اللّجَاجِ، واللّجَاجَةُ: الخُصُومَةُ.

(٢) الْمُمَارِي: مِنَ المِرَاءِ، وَهُوَ الجِدَالُ، والتّمَارِي والمُمَارَاةُ: المُجَادَلَةُ عَلَىٰ مَذْهَبِ الشَّكِّ والرِّيبةِ.

=

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الحِلْيَةِ» (ج٥ ص٢٢٨)، وابنُ حِبَّانَ فِي «رَوْضَةِ العُقَلاءِ» (ص٧٩)، والبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإيمَانِ» (ج٦ ص٣٤١)، ومُحَمَّدُ بنُ طَاهِرٍ فِي «الحُجَّةِ» (ج٢ ص٥٨٤)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (ج٢ ص٥٢٤) مِنْ طُرُقٍ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ بِلاَلَ بنَ سَعْدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قُلْتُ: فَمَا ضَلّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًىٰ؛ إلّا أُوتُوا الْجَدَلَ وَالْخِصَامَ، وَالْعِيَاذُ باللهِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

فَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]؛ قَالَ: (هُوَ المُنَافِقُ).

أثرٌ صحيحٌ

=

انظر: «القَامُوسَ الْمُحِيطَ» للفَيْرُوزآبادِي (ج١ ص٢١٢)، و «النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ» لابنِ الأَثِيرِ (ج٤ ص٣٢٢).

أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (١/ق٢٤/ط)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (١٤٥٦)، والطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (ج٤ ص٢٣٢) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قُلْتُ: فإِيَّاكَ وَالْمِرَاءَ فِي الدِّينِ، فَإِنّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ، وَهُو يُهَيِّجُ الْعَدَاوَةَ، وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الأَلَدَّ الْخَصِمَ).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص١٠١)، و (ج٨ ص١١٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٤ ص٢٠٥٤)، والتِّرْمِذِيُّ فِي «سُننِهِ» (ج٥ ص٢١٤)، والنَّسَائِيُّ فِي «السُّنن الكُبْرىٰ» (٥٩٤٥)، و(١٠٩٦٩)، وفِي «المُجْتَبَىٰ» (ج٨ ص٢٤٧)، والحُمَيْدِيُّ فِي «المُسْنَدِ» (ج١ ص١٣٢)، والدَّارِمِيُّ فِي «النَّقْضِ» (ج٢ ص٨٧٣)، وَأَبُو عُثْمَانَ الْبُحَيْرِيّ فِي «الْفَوَائِدِ» (٣٠)، وَابْنُ مَنْدَه فِي «التَّوْحِيدِ» (٧١٠)، و(٧١١)، و(٧١٢)، واللاَّلَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ج١ ص١٢٦)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (ج٥ ص٢٧٤)، وَفِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ» (ج١ ص٥٦١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ» (ج١٠ ص١٠٨)، وَفِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (ج٢ ص٤٦٦)، وَفِي «مَعْرِفَةِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ» (٦١٦٨)، وَفِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٨٠٧١)، و(٨٠٧٢)، وَالْبَعْلِيُّ فِي «حَدِيثِهِ» (١/ ٣٠/ ط)، وَطَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ فِي «صَفْوَةِ التَّصَوُّفِ» (١/ ٧٧٦/ ط)، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج١٠ ص٩٧)، وَفِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ»

(ج١ ص٢٣٦)، وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآن» (ج٢ ص٤٧٩ – الدُّرّ المَنْثُور)، وَابْنُ وَهْبٍ فِي «الْمُوَطَّأ» (٢٢٩)، وَفِي «الْجَامِعِ فِي الْحَدِيثِ» (٤٤١)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٦ ص٥٥)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ» (٢٥٧)، وَفِي «الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ» (١٨)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٧ ص٤٨١)، والمَرْوَزِيُّ فِي «حَدِيثِ يَحْيَىٰ بْنِ مَعِينٍ» (ص١٨١)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «جَامِعِ الْمَسَانِيدِ» (ج٨ ص٢٥٢)، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي «الْكَشْفِ وَالْبَيَانُ» تَعْلِيقًا (ج٢ ص١٢٣)، وَابْنُ سَمْعُونَ الْوَاعِظُ فِي «الْأَمَالِي» (٣١٦)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٤٧٩ – الدُّرّ المَنْثُور)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (ج٢ ص٤٨٣ و٤٨٤)، والسِّلَفِيُّ فِي «مُعْجَمِ السَّفَرِ» (١٣١٦)، وَالذَّهَبِيُّ فِي «مُعْجَمِ الشُّيُوخِ» (٣٠٣)، والبَعْلَبَكِيُّ فِي «حَدِيثِ ابْنِ مَجْدٍ» (١/ ٣/ ط)، وَابْنُ رَاهْوَيْهِ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٢٤٢)، وَابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (ص٢٠٠)، والقَسْطَلَانِيُّ فِي «إِرْشَاد السَّارِي» (ج١٠ ص٣٢٢)، وَالْهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَام» (ج١ ص١٣٧) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «الْأَلَدُّ» الْخَصِم، أَيْ: شَدِيدُ اللَّدَدِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْجِدالِ، وَالتَّخَاصُمِ فِي الدِّينِ.[1]

---

(١) وَانْظُرْ: «مَعَالِمَ التَّنزيل» لِلْبَغَوِيِّ (ج١ ص٢٣٥)، و«الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ القُرآنِ المَجيد» للوَاحِدِيِّ (ج١ ص٣١٠)، و«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلْطَّبَرِيِّ (ج٢ ص٣١٥)، و«النِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ (ج٤ ص٢٤٤).

قُلْتُ: وَالذَّمُّ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ خَاصَمَ بِبَاطِلٍ، وَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَدِلُّ فِي الذَّمِّ مَنْ يَطْلُبَ حَقًّا؛ لَكِنْ لَا يَقْتَصِرُ عَلَىٰ قَدْرِ الْحَاجَةِ، بَلْ يُظْهِرُ اللَّدَدَ، وَالْكَذِبَ فِي الْقَوْلِ، لإِيذَاءِ خَصْمِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ الْخُصُومَةِ مَحْضُ الْعِنَادِ لِقَهْرِ خَصْمِهِ، وَكَسْرِهِ.(١)

قَالَ الحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (ج١٦ ص٢١٩): (الْأَلَدُّ: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ مَأْخُوذٌ مِنْ لَدِيدِي الْوَادِي، وَهُمَا جَانِبَاهُ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا احْتَجَّ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ فِي جَانِبٍ آخَرَ، **وَأَمَّا الْخَصِمُ**، فَهُوَ الْحَاذِقُ بِالْخُصُومَةِ، وَالْمَذْمُومُ هُوَ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ فِي رَفْعِ حَقٍّ، أَوْ إِثْبَاتِ بَاطِلٍ).(٢) اهـ

ومعَنِ الإِمَامِ الْحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، قَالَ: كَاذِبُ الْقَوْلِ).

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الْمَرْوَزِيُّ فِي «حَدِيثِ ابْنِ مَعِينٍ» (ص٢٠١)، والبَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (ج١ ص٢٣٦)، وَابْنُ أَبِي حاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٣٦٥) مِن طَرِيقَيْنِ عَنْ عَاصِمٍ عَن الْحَسَنِ الْبَصَرِي بِه.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، قَالَ: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ).

---

(١) وَانْظُرْ: «الأذكَارَ» لِلنَّوَوِيِّ (ص٥٧١).

(٢) **قُلْتُ**: وَالْجِدَالُ وَالْخِصَامُ بِالْبَاطِلِ اِبْتُلِيَ بِه رُؤُوسَ الْجَمَاعَاتِ الْحِزْبِيَّةِ.

أَثَرٌ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٣٦٥) مِن طَرِيقِ بِشْرِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ فِي الشَّوَاهِدِ.

وأَخْرَجَهُ الطَّسْتِيُّ فِي «مَسَائِلِه» (ج٢ ص٤٧٨ - الدُّرّ الْمَنْثُور) مِن طَرِيق نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِلَفْظ: (**الْجَدِلُ الْمُخاصِمُ فِي الْبَاطِلِ**).

وَذَكَرَه السُّيُوطِيُّ فِي «الْإِتْقَانِ» (ج٢ ص٩٧).

وَعَنِ الإِمَامِ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، قَالَ: (جَدِلٌ بِالْبَاطِلِ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٣٦٥)، وَالْحَامِضُ فِي «حَدِيثِهِ» (ص٢٢٠)، وَالْهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ» (ص٥٠)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (ج٢ ص٣١٥)، وَعَبْدالرَزّاق فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج١ ص٨١) مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، قَالَ: (فأَعْوَجُ الْخِصَامِ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص٣٦٥)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (ج٢ ص٣١٥) مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ حَمَّادٍ قَالَ: ثنا أَسْبَاطٌ عَنِ السُّدِّيِّ به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قُلْتُ: فَالْاِعْوِجَاجُ فِي الْخُصُومَةِ مِنَ الْجِدَالِ وَاللَّدَدِ.(١)

فَعَنِ الإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رحمه الله قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةُ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهَا تُشْغِلُ الْقَلْبَ، وَتُوَرِّثُ النِّفَاقَ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (ج١٤ ص٥٣١)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (ج٢ ص٥٢٦)، واللاَّلَكَائِيُّ فِي «الْاِعْتِقادِ» (ج١ ص١٢٨)، وَالْمَزِّيُّ فِي «تَهْذِيبِ الْكَمَالِ» (ج٥ ص٩٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (ج٣ ص١٩٨) مِنْ طَرِيقِ مَنْصُورِ بنِ أَبِي مُزَاحِمٍ حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بنُ سَعِيدٍ الْقَاضِي قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنْ عَبْدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ).

---

(١) أُنْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلْطَّبَرِيّ (ج٢ ص٣١٦).

قُلْتُ: وَالْحِزْبِيُّ مُخاصِمٌ فِي الدِّين، فَلَا يَسْتَقِيمُ عَلَىٰ خُصُومَةٍ، فَهُو يَنْتَقِلُ مِنْ خُصُومَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَه أَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ» (ص٢٣٣)، وَالطَّبَرانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (ج٩ ص١٠٨)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيا فِي «الصَّمْتِ» (ص٨٠)، وَابْنُ وَهَبٍ فِي «الْجَامِعِ فِي الْحَدِيثِ» (ج١ ص٤٤٥) مِنْ طُرقٍ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي «الْمُغَنِّي» (ج٣ ص١١٢): «سَنَدُهُ صَحِيحٌ».

وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الزَّوائِدِ» (ج١٠ ص٣٠٣): «رِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

قُلْتُ: فَالْخُصُومَةُ فِي الدِّينِ تُولِّدُ الْكَرَاهِيَةَ، وَالْعَدَاوَةَ، وَالْبَغْضاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة:٩١].

إِذاً فَالْخُصُومَةُ تُهيِّجُ الْغَضَبَ حَتَّىٰ يَنْسَىٰ الْمُخَاصِمُ وَالْمُتَنازَعُ أَوَامِرَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَوَامِرَ رَسُولِهِ ﷺ عَلَيْهِ، فَيُعَانِدُ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَسُولِهِ ﷺ إِذَا ذُكِرَ لَهُ الدَّلِيلُ بِسَبَبِ بُغْضِهِ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَعَنِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقْسِي الْقَلْبَ، وَيُوَرِّثُ الضِّغْنَ).

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةَ فِي «الإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (ج٢ ص٥٣٠) مِنْ طَرِيقِ أَبِي الأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ، لِلْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ: (مَا اضْطَرَّ النَّاسَ إِلَىٰ الأَهْوَاءِ؟ قَالَ: الْخُصُومَاتُ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخرَجَهُ الْآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (ج١ ص١٩٢)، واللَّالَكَائِيُّ فِي «الْاِعْتِقادِ» (٢١٨)، وَعَبْدُالله بْنُ أَحمْد فِي «السُّنَّةِ» (٩٧)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (٥٣٦)، والأصبهانيُّ فِي «الْحُجَّةِ» (ص٢١٤) مِنْ طُرُقٍ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قَالَ الإمامُ اِبْنُ بَطَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (ج٢ ص٥٣١): (فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنِّي لَمْ أَرَ الْجِدَالَ وَالْمُنَاقَضَةَ، وَالْخِلافَ، وَالْمُمَاحَلَةَ، وَالأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَالآرَاءَ الْمُخْتَرَعَةَ مِنْ شَرَائِعِ النُّبَلاءِ، وَلا مِنْ أَخْلاقِ الْعُقَلاءِ، وَلا مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ، وَلا مِمَّا حُكِيَ لَنَا عَنْ صَالِحِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَلا مِنْ سِيَرِ السَّلَفِ، وَلا مِنْ شِيمَةِ الْمَرْضِيِّينَ مِنَ الْخَلَفِ، وَإِنَّمَا هُوَ لَهْوٌ يُتَعَلَّمُ، وَدِرَايَةٌ يُتَفَكَّهُ بِهَا، وَلَذَّةٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهَا، وَمُهَارَشَةُ الْعُقُولِ، وَتَذْرِيبُ اللِّسَانِ بِمَحْقِ الأَدْيَانِ، وَضَرَاوَةٌ عَلَىٰ التَّغَالُبِ، وَاسْتِمْتَاعٌ بِظُهُورِ حُجَّةِ الْمُخَاصِمِ، وَقَصْدٌ إِلَىٰ قَهْرِ الْمُنَاظِرِ، وَالْمُغَالَطَةِ فِي الْقِيَاسِ، وَبَهْتٌ فِي الْمُقَاوَلَةِ، وَتَكْذِيبُ الآثَارِ، وَتَسْفِيهُ الأَحْلامِ الأَبْرَارِ، وَمُكَابَرَةٌ لِنَصِّ التَّنْزِيلِ، وَتَهَاوُنٌ بِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَنَقْضٌ لِعُقْدَةِ الإِجْمَاعِ، وَتَشْتِيتُ الأُلْفَةِ، وَتَفْرِيقٌ لأَهْلِ الْمِلَّةِ، وَشُكُوكٌ تَدْخُلُ عَلَىٰ الأُمَّةِ، وَضَرَاوَةُ السَّلاطَةِ، وَتَوْغِيرٌ لِلْقُلُوبِ، وَتَوْلِيدٌ لِلشَّحْنَاءِ فِي النُّفُوسِ عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَأَعَاذَنَا مِنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِهِ). اهـ

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (ج٢ ص٤٨٤)، وَالْهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ» (ج١ ص١٣٥) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُالرَزّاقِ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج١ ص٨١)، وَفِي «الْأَمالي فِي آثَارِ الصَّحَابَةِ» (ص٢٥) مِن طَرِيق مَعْمَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِهِ مَوْقوفًا.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ عَبْدِاللهِ بْنِ شُبْرُمَةَ الكُوفِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ).

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (ج١٤ ص٥١٣) مِن طَرِيق السَّرِّيِّ بْنِ يَحْيَىٰ، نا عُثْمَانُ بْنُ زُفَرٍ، نا ابْنُ السَّمَّاكِ، عَنِ عَبْدِاللهِ بْنِ شُبْرُمَةَ به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

قُلْتُ: **فالجِدَالُ المُذْمُومُ وَجْهَانِ:**

أَحَدُهُمَا: الجِدَالُ بَغْيرِ عِلْمٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٣٥].

والثَّاني: الجِدَالُ بالشَّغَبِ، والتَّمْويهِ، نُصْرَةً للبَاطِلِ بَعْدَ ظُهُورِ الحَقِّ وبَيَانِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر:٥].

قُلْتُ: فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْجَدَّالَ الْمَذْمُومَ، وَأَعْلَمَنَا أَنَّه الْجِدَالُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، وَالْجِدَالُ فِي الْبَاطِلِ.(١)

قَالَ الإِمَامُ الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا أَلْزَمَهُمُ الْجَدَلَ، وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ).(٢)

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ اللالَّكَائِيُّ فِي «الْاِعْتِقادِ» (٢٩٦)، وَالْهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ» (ج٥ ص١٢٣)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ» تَعْلِيقًا (ص٤١٢) وَالْخَطِيبُ فِي «اِقْتِضَاءِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ» (١٢٢)، وَالذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» (ج٧ ص١٢١) مِنْ طُرُقٍ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ به.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الْعَمَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا فَتَحَ لَهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْعَمَلِ).

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «اِقْتِضَاءِ الْعَلْمِ الْعَمَلِ» (١٢٣)، وَابْنُ حَمَكَانَ فِي «الْفَوَائِدِ والأَخْبَارِ» (ص١٦٢)، وَأَبُو نُعيم فِي «الْحِلِيَةِ» (ج٨ ص٣٦١)، وَابْنُ الجَوْزِيِّ فِي

(١) اُنْظُر: «الْفَقِيهَ والْمُتَفَقّهَ» لِلْخَطِيبِ (ج١ ص٥٥٧).

(٢) **قُلْتُ**: فَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْم شَرًّا أَلْقَىٰ بَيْنَهُم الْجَدَلَ، وَحَرَمَهُمْ الْعِلْمَ.

«مَنَاقِبِ مَعْرُوفِ الكَرْخِيّ» (ص١٢٢)، والسِّلَفِيُّ في «المَشْيَخَةِ البَغْدَادِيَّةِ» (ج٢ ص٢١٠)، وَابْنُ الْبَنَّاءِ فِي «الرَّدِّ عَلَىٰ المُبْتَدِعَةِ» (ص٤٣) مِنْ طُرُقٍ عَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

٢٠) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٧٤): (فَمَنِ اتَّخَذَ رَجُلاً إِمَامـًا يُعْرَضُ عَلَيْهِ قَوْلَ رَبِّهِ تَعَالَىٰ، وَقَوْلَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَمَا وَافَقَ فِيهِ قَوْلَ ذَلِكَ الرَّجُلِ قَبِلَهُ، وَمَا خَالَفَهُ تَرَكَ قَوْلَ رَبِّهِ تَعَالَىٰ، وَقَوْلَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ: أَنَّ هَذَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَوْلَ رَسُولِهِ ﷺ، والْتَزَمَ قَوْلَ إِمَامِهِ، فَقَدِ اتَّخَذَ دُونَ اللهِ تَعَالَىٰ وَلِيًّا، وَدَخَلَ في جُمْلَةِ الآيَةِ المَذْكُورَةِ). اهـ

٢١) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٢٢) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ(١) وَالطَّاغُوتِ(٢) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

---

(١) **الجِبْتُ**: الشَّيْطَانُ.

(٢) **وَالطَّاغُوتُ**: البَاطِلُ.

وَانْظُر: «غَرِيبَ الْحَدِيثِ» لِلْحَرْبِيّ (ج٣ ص١١٧٧)، وَ«تَيْسِير الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» لِلشَّيْخِ سُلَيْمَانَ آلِ الشَّيْخِ (ج١ ص٧٤١).

قُلْتُ: وَالْجِبْتُ: اسْمٌ عَامٌّ لِكُلِّ مَا فِيهِ مُخَالَفَةٌ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ فِي الِاعْتِقَادِ، وَالْمَنْهَجِ، وَالدَّعْوَةِ، وَالطَّاعُونُ كَذَلِكَ: هُوَ الْبَاطِلُ مِنَ الْبِدَعِ وَغَيْرِهَا.(١)

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٧٥): (وَلاَ وَلِيجَةٌ أَعْظَمُ مِمَّنْ جَعَلَ رَجُلاً بِعَيْنِهِ عِيَاراً: عَلَىٰ كَلاَمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَلاَمِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَلاَمِ سَائِرِ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ). اهـ

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٧٥): (فَهَذَا لاَزِمٌ فِي كُلِّ حُكْمٍ). اهـ

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦ و١٦٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٧٥): (فَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ، أَوْ بِبُرْهَانٍ عَلَىٰ صِدْقِ قَوْلِهِ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ صَادِقًا، لَكِنَّهُ كَاذِبٌ آفِكٌ: مُفْتَرٍ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

---

(١) وَانْظُر: «التَّمْهِيد لِشَرْح كِتَابِ التَّوْحِيدِ» لِلشَّيْخ صَالِح آل الشَّيْخ (ص٢٨٥ و٢٨٦).

وَمِنْ أَطَاعَ سَادَتَهُ، وَكُبْرَاءَهُ، وَتَرَكَ مَا جَاءَهُ بِنَصِّ القُرْآنِ، واسْتَحَقّ الوَعِيدُ بالنَّارِ). اهـ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

قلتُ: فَفِي هَذِهِ الآيَةِ، سَوْفَ يَتَبَرَّأُ رُؤُوسُ الضَّلاَلَةِ الَّذِينَ أَسَّسُوا لَهُمْ جَمَاعَةً ضَالّةً فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَذَلِكَ لَمَّا رَأَوْا عَذَابَ اللهِ لَهُمْ، والوَعِيدَ الشَّدِيدَ لَهُمْ تَبَرَّأُوا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ بغَيْرِ عِلْمٍ لَعَلَّ يُرْفَعَ عَنْهُمْ العَذَابِ، رَغْمَ أَنَّهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا إِذَا كَثُرَ أَتْبَاعُهُمْ فَرِحُوا بِهِمْ، وَإِذَا ضَلُّوا أَحَداً سَعِدُوا بِهِ أَنْ صَارَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

قلتُ: فَمَنْ أَرَادَ مِنْ دُعَاةِ الضَّلاَلَةِ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ أَتْبَاعِهِ السِّذْجِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي حَيَاتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَيُعْلِنُ تَوْبَتَهُ، والبَرَاءَةَ مِنْ ضَلاَلاَتِهِ، وَجَهَالاَتِهِ مُخْلِصاً للهِ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَمَّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ أَتْبَاعِهِ يَوْمَ القِيَامِةِ، ويُعْلِنُ تَوْبَتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، والبَرَاءَةَ مِنْهُمْ، وَمِنْ ضَلاَلاَتِهِ، فَهَذَا لاَ فَائِدَةَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ فـ«هَيْهَاتٌ... هَيْهَاتٌ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ[1] فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

وعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ **وَهُمُ: الْجَبَابِرَةُ، وَالْقَادَةُ، والرُّءوسُ فِي الشِّرْكِ، والشَّرِّ، ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾؛ وَهُمُ: الأَتْبَاعُ الضُّعَفَاءُ، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾.**

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ في «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤١١)، وابنُ أَبِي زَمَنِينَ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج١ ص١٩٣) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بنِ زُرَيْع قَالَ: ثنا سَعِيدُ بنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

---

(١) يَعْنِي: الآنَ وبِأَسْرَعِ وَقْتٍ مُمكِنْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ المَوْتِ، واللهُ المُسْتَعَانُ.

وَيَزِيدُ بنُ زَرْيعٍ سَمِعَ مِنْ سَعِيدِ بنِ أَبِي عَرُوبَةَ قَبْلَ الاخْتِلَاطِ.

وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ المَنْثُورِ» (ج٢ ص١٢٢)، والشَّوْكَانِيُّ فِي «فَتْحِ القَدِيرِ» (ج١ ص١٦٦).

قلتُ: فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنْ الْمُتَّبِعِينَ عَلَىٰ الضَّلَالَةِ فِي الدِّينِ؛ يَتَبَرَّءُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ: حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُمْ، وَلَم يَخْصُصْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ بَعْضاً دُونَ بَعْضٍ، بَلْ عَمَّ اللهُ تَعَالَىٰ جَمِيعَهُمْ.(١)

فَدَاخِلٌ فِي ذَلِكَ كُلُّ مَتْبُوعٍ عَلَىٰ الضَّلَالَاتِ؛ أَنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنْ أَتْبَاعِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ الضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا؛ إِذْ عَايَنُوا عَذَابَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الآخِرَةِ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلَانِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ **قَالَ: (الْوِصَالُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (تَوَاصُلُهُمْ فِي الدُّنْيَا).**

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤١٥)، (٢٤١٦)، و(٢٤١٧) وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ص٥٤)، وسَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (٢٤٠)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج١ ص٢٧٨)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ» (ج٣ ص٢٨٥) مِنْ طَرِيقِ جَرِيرٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ؛ كِلَاهُمَا: عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

---

(١) فَتَبَرَّأُ المُبْتَدِعَةُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ الجَهَلَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ فَائِدَةَ مِنْهُ!.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ **قَالَ: (المُوَدَّةُ)؛ يَعْنِي: بَيْنَ المَتْبُوعِينَ، والأَتْبَاعِ. وَفِي رِوَايَةٍ: (تَوَاصُلٌ كَانَ بَيْنَهُمْ بِالْمَوَدَّةِ فِي الدُّنْيَا).**

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤١٨)، وآدمُ بنُ أَبِي إِيَاسٍ فِي «تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ» (ص٢١٨) مِنْ طَرِيقِ حَجَّاجٍ، وَوَرْقَاءٍ، وشِبْلٍ؛ كُلُّهُمْ: عَنِ ابنِ أَبِي نَجِيحٍ، وابنِ جُرَيْجٍ؛ كِلَاهُمَا: عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وأَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤٢٠) مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: **(تَوَاصُلٌ كَانَ بَيْنَهُمْ بِالْمَوَدَّةِ فِي الدُّنْيَا).**

والحُسَيْنُ: وَهُوَ ابنُ دَاوُدَ المِصِّيصِيُّ، وَقَدْ تُوبِعَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ **قَالَ: (المَودَّةُ).**

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤٢١)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج١ ص٢٧٨)، والحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ» (ج٢ ص٢٧٢)، وابنُ المُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص١٢٣ – الدُّرّ المَنْثُورِ) مِنْ طَرِيقِ قَيْسِ بنِ سَعْدٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنْ قَتَادَةَ رحمه الله قَالَ: فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ **أَسْبَابُ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَسْبَابُ الْمُوَاصَلَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا يَتَوَاصَلُونَ بِهَا، وَيَتَخَالُّونَ بِهَا، وَيَتَحَابُّونَ بِهَا، فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ عَدَاوَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾** [العنكبوت: ٢٥]؛ **وَيَتَبَرَّأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾** [الزخرف: ٦٨]؛ **فَصَارَتْ كُلُّ خُلَّةٍ عَدَاوَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا، إِلا خُلَّةَ الْمُتَّقِينَ).**

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤٢٢) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْع قَالَ: ثنا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قلت: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَذَكَرَهُ ابنُ حَجَرٍ فِي «فَتْحِ البَارِي» (ج١١ ص٣٩٣)، والسُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ المَنْثُورِ» (ج٢ ص١٢٤).

وَعَنْ قَتَادَةَ رحمه الله قَالَ: فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ **قَالَ: (هُوَ الْوَصْلُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا).**

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤٢٣)، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج١ ص٢٨) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَلَّقَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج١ ص٢٧٨).

قلتُ: فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ: مُبْتَدِعَةٌ؛ يَتَبَرَّأُ عِنْدَ مُعَايَنَتِهِمْ عَذَابَ اللهِ تَعَالَىٰ: المَتْبُوعُ مِنَ التَّابِعِ، وتَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَلْعَنُ بَعْضاً، وَأَنَّ الأَخِلاَّءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ، إِلاَّ المُتَّقِينَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَحِ، والإِصْلاَحِ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ المُبْتَدِعِينَ لاَ يَنْصُرُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ البِدْعِيَّةَ تَصِيرُ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، وَكُلُّ هَذِهِ المَعَانِي أَسْبَابٌ يُتَسَبَّبُ فِي الدُّنيا بِهَا إِلَىٰ مَطَالِبٍ، فَقَطَعَ اللهُ تَعَالَىٰ مَنَافِعَهَا فِي الآخِرَةِ عَنِ المُبْتَدِعِينَ، والكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا؛ لأَنَّهَا كَانَتْ بِخِلاَفِ طَاعَتِهِ، وَرِضَاهُ: فَهِيَ مُنْقَطِعَةٌ بِأَهْلِهَا، فَلاَ خِلاَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَلاَ تُقْبَلُ عِبَادَتُهُمْ البِدْعِيَّةِ، وَلاَ طَاعَتُهُمْ لِشَيْاطِينِهِم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٤ و٢٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، يَعْنِي: تَزْيِينَ الشَّيْطَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، يَعْنِي: نَدَامَات.(١)

فَقَالَ الأَتْبَاعُ الجَهَلَةُ: لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً نَرْجِعُ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَنَتَبَرَّأَ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعْنَاهُمْ؛ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا فِي الآخِرَةِ؛ فـ«هَيْهَاتٌ.. هَيْهَاتٌ».(٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

فعَنْ قَتَادَةَ بْنَ دِعَامَةَ رحمه الله قَالَ: فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧]؛ **قَالَ: (رَجْعَةً إِلَىٰ الدُّنْيَا).**(٣)

أثرٌ صحيحٌ

---

(١) **قلتُ**: فالقَوْمُ تَمَنَّوْا رَجْعَةً إِلَىٰ الدُّنْيَا لِيَتَبَرّءوا مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُطيعُونَهُم فِي الضَّلاَلَةِ، كَمَا تَبَرّأ مِنْهُمْ رُؤُوسُ الضَّلاَلَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا.

قلتُ: فَصَارَتْ أَعْمَالُهُمْ المُخَالِفَةُ للشَّرِيعَةِ المُطَهَّرَةِ حَسَرَاتٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

(٢) وانظر: «جَامِعَ البَيَانِ» للطَّبَرِيِّ (ج٢ ص٢٠ و٢١)، «تَفْسِيرَ القُرْآنِ» لابنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج١ ص٢٧٧ و٢٧٨)، و«تَفْسِيرَ القُرْآنِ» لابنِ أَبِي زَمَنِينَ (ج١ ص١٩٣)، و«الدُّرَّ المَنْثُورِ» للسُّيُوطِيِّ (ج٢ ص١٢٢)، و«تَفْسِيرَ القُرْآنِ» لِمُقَاتِلِ بنِ سُلَيْمَانَ (ج١ ص١٥٤)، و«فَتْحَ البَارِي» لابنِ حَجَرٍ (ج١١ ص٣٩٣)، و«الكَشْفَ والبَيَانَ» للثَّعْلَبِيِّ (ج٢ ص٣٦)، و«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» للبَغَوِيِّ (ج١ ص١٧٩)، و«فَتْحَ القَدِيرِ» للشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص١٦٦)، و«الإِحْكَامَ فِي أُصُولِ الأَحْكَامِ» لابنِ حَزْمٍ (ج٦ ص٢٧٥).

(٣) **قلتُ**: أَيُّهَا الأَتْبَاعُ لَيْسَ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ إِلاَّ الحَسَرَاتِ والنَّدَامَاتِ، لأَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ رُؤُوسَ الضَّلاَلَةِ، وَلَمْ تُطِيعُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَلاَ رَسُولَهُ ﷺ، فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الحَقِّ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مَا لاَ تَعْلَمُونَ.

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ في «جَامِعِ البَيَانِ» (٢٤٣٠)، وَعَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ» (ج٢ ص١٢٤- الدُّرُّ المَنْثُورِ) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بنِ زُرَيْعٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ بنِ دِعَامَةَ بِهِ.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الإِحْكَامِ» (ج٦ ص٢٩٦): (فالدِّينُ قَدْ كَمُلَ، فَلاَ مَدْخَلَ لأَحَدٍ فِيهِ: بِزِيَادَةٍ، وَلاَ نَقْصٍ، وَلاَ تَبْدِيلٍ). اهـ

هَذَا آخِرُ مَا وفَّقني اللهُ سُبْحَانه وتَعَالىٰ إليْهِ في تَصْنِيفِ هَذَا الكِتَابِ النَّافعِ المُبارك -إنْ شَاءَ اللهُ- سَائِلاً ربِّي جَلَّ وعَلا أنْ يكتُبَ لِي بِهِ أَجْراً، ويَحُطَّ عَنّي فيهِ وِزْراً، وأنْ يَجْعلَهُ لِي عِنْدَهُ يَوْمَ القِيَامةِ ذُخْراً ... وصَلّىٰ اللهُ وسَلّمَ وبَارِكَ عَلَىٰ نَبيِّنَا مُحَمّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ، وصَحْبِهِ أَجْمعِينَ، وآخِرُ دَعْوَانا أنِ الحُمْدُ اللهِ ربِّ العَالمِينَ.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١)	مَصَايِدُ، وَمَكَايِدُ الحِزْبِيَّةِ المُبْتَدِعَةِ للجُهَّالِ مِنَ النَّاسِ فِي البُلْدَانِ.....	٥
٢)	فَتْوَىٰ العَلاَّمَةِ الشَّيْخِ صَالِحِ بنِ فَوْزَانَ الفَوْزَانَ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ المَشْبُوهِينَ فِي الدِّينِ، وإِنْ تَظَاهَرُوا بالأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ.....	٧
٣)	فَتْوَىٰ العَلاَّمَةِ الشَّيْخِ صَالِحِ بنِ فَوْزَانَ الفَوْزَانَ فِي جَهْلِ المُتَرَهْبِنَةِ المُتَثَقِّفَةِ فِي الدِّينِ، وَأَنَّهُ لاَ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ فِي الفَتَاوَىٰ فِي العِلْمِ، لا فِي الأُصُولِ، ولاَ فِي الفُرُوعِ.....	٨
٤)	فَتَاوَىٰ العُلَمَاءِ فِي تَبْيِينِ الحَقِّ، وَعَدَمِ السُّكُوتِ عَنِ البَاطِلِ.....	٩
٥)	المُقَدِّمَةُ.....	١٠
٦)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ البِدْعِيَّةَ، لَمْ تُفْرَضْ عَلَىٰ أُمَّةِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِهَا؛ بَلْ مَرْفُوضَةٌ فِي الدِّيْنِ، وَيَحْرُمُ التَّعَبُّدُ بِالتَّرَهُّبِ فِي العِبَادَةِ، فَلَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ.....	٣٥
٧)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ المُتَنَصِّبَةَ المُقَلِّدَةَ يُعْتَبَرُونَ مِنَ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ فِي دِينِهِ بالتَّقْلِيدِ المَذْمُومِ، والجَهْلِ المُرَكَّبِ؛ لأَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ العِلْمِ، مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَىٰ نَيْلِ المَنَاصِبِ الدِّينيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ لِكَسْبِهِمْ الأَمْوَالَ؛ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا؛ بَلْ إِنَّ هَؤُلاءِ يَعْبُدُونَ	٤٨

اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ حَرْفٍ فِي الدِّينِ فَهُمْ: لَيْسُوا بِقُدْوَةٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، والعِلْمِ، وَأَنَّ هَذِهِ: «الرَّهْبَنَةَ» ضَلُّوا بِسَبَبِهَا، ثُمَّ أَكَلُوا عَنْ طَرِيقِهَا أَمْوَالَ المُسْلِمِينَ بالبَاطِلِ، ثُمَّ بِسَبَبِ هَذِهِ المَنَاصِبِ، والأَمْوَالِ يَ صُدُّونَ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الأُصُولِ والفُرُوعِ فِي الدِّينِ.....